# الإندماج السياسي لحزب الله في الحياة السياسية اللبنانية

بقلم توماس ج. إسبوسيتو

مساعد مستشار في الأطروحة: محمد حافظ، آن ماري بيلوني

أكاديمية القوات البحرية ( NPS) ؛ حزيران، 2009

## 1. مقدمة

### أ. أسئلة البحث الرئيسة

أثبت حزب الله نفسه كقوة سياسية وعسكرية مرنة ذات صلة داخل لبنان وكذلك عبر منطقة الشرق الأوسط. وكان هناك جدل يقول بأن السبب الأولي لوجود حزب الله جاء من مقاومته الإحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان، إستمرارية " الثورة الإسلامية" ( التي بدأت في إيران في العام 1979) و " الإضطهاد العام من قبل القوى العظمى للعالم الثالث". في كل الأحوال، وبما يتعلق بـ 24 أيار، 2000، تاريخ الإنسحاب النهائي للقوات الإسرائيلية من جنوب لبنان، فإن التهديد الذي كان حزب الله يحدده ويربط نفسه به قد تم إزالته مادياً ( بجزئه الأكبر). فكيف إذن سيشعر الشعب اللبناني " المحرر" حديثاً بخصوص فاعل قوي غير حكومي موجود داخل حدوده؟ هل أن القبضة الإسرائيلية في مزارع شبعا توفر تبريراً سياسياً مناسباً لمقاومة حزب الله المسلحة المستمرة؟ وإذا كان الأمر كذلك، ماذا عن أعمال حزب الله العدائية داخل لبنان نفسه؛ خاصة، الإرادة الظاهرة بفرض رأيه السياسي من خلال تطبيق محسوب للقهر العسكري ضد البنية السياسية اللبنانية؟

تتمحور عناصر هذه الأطروحة حول المقاربة التي يستخدمها حزب الله ليدمج نفسه كمنظمة عسكرية، سياسية وإجتماعية داخل الحياة السياسية والإجتماعية اللبنانية. سوف تبحث الأطروحة في الكيفية التي تستمر بها منظمة إسلامية، معتبرة كـ " مجموعة

إرهابية" في منتصف الثمانينات، بالعمل على تحويل نفسها الى فاعل سياسي شرعي مشارك في الحكومة اللبنانية. فكيف يوازن حزب الله حاجته بأن يكون فاعلاً شرعياً ضمن النظام السياسي اللبناني مع أهدافه العسكرية الأصلية والمستمرة بتحرير لبنان وأراض أخرى موجودة تحت السيطرة الإسرائيلية، وعموماً، حماية البلد من غزو إسرائيلي؟ إن الهدف الأول يتطلب من حزب الله أن يكون حساساً تجاه حاجات لبنان وفئاته السياسية العديدة وكذلك مصالحه الداخلية. أما الهدف الثاني فيتطلب من حزب الله المحافظة على موقفه الراديكالي تجاه دولة مجاورة، الحفاظ على إستمرارية ميليشيا مسلحة كبيرة، وتشكيل تحالفات مع فاعلين خارجيين كسوريا وإيران مستقلين بسياساتهم عن الحكومة اللبنانية. فكيف يتمكن حزب الله من الموازنة بين هذه المصالح؟ تعمل هذه الأطروحة على إستكشاف الكيفية التي يسعى فيها حزب الله الى إخفاء هذه الأهداف المتضاربة بحسب ما تبدو عليه.

## ب. ا
## لأهمية

إن فهم الديناميكية المتحولة للتضمين والشمول السياسي المؤدي الى الإعتدال المحتمل لفاعل عقلاني غير حكومي أمر حاسم لإجراء تقييم تحليلي دقيق ولصياغة سياسية. فبما أنه قد تم تقييم حزب الله على أنه تهديد هام وبارز للأراضي الأميركية، الحلفاء الدوليين، والمصالح الوطنية، فمن المهم جداً النظر الى هذه المجموعة من خلال عدسة تحليلية مناسبة. فإذا كان نائب وزير الخارجية الأسبق ريتشارد آرميتاج قد إستشهد بروح الخطاب المشهور عام 2002 المتمثل في الفقرة التي تتوجه الى التهديد الذي يشكله حزب الله بصفته " الفريق - أ من الإرهابيين، في حين أن القاعدة قد تكون بالفعل الفريق - ب،" فإن هذا الأمر يجب تناوله على نحو دقيق، ومن ثم يعتبر القيام بدرس جدي، صريح وواع لمدى صدقية التهديد الذي يعرضه حزب الله أمر مطلوب. فحزب الله لا يبدو بأنه يشكل تهديداً مباشراً للولايات المتحدة، لكنه يهدد بالفعل مصالح الولايات المتحدة الإقليمية بـ (1) العمل كقوة بديلة لإيران؛ (2) تهديد إسرائيل؛ (3) رعاية الفصائل الراديكالية في فلسطين والعراق. لذا، من المهم فهم المحفزات والدوافع الإستراتيجية لحزب الله لصياغة السياسات الفعالة لتعديله أو إحتوائه.

## ج.
## مشاكل وفرضيات

إن التحدي المرفوع بسبب بعض التأطير النمطي والتاريخي لحزب الله كمنظمةإرهابية إجرامية يناقض الحقيقة التي تقول بأنه في الفترة الواقعة ما بين العام 1985 وحتى يومنا الحاضر هناك تغييرات هامة وبارزة حدثت داخل قيادة المنظمة، وفي فلسفتها وأسلوب تعبيرها السياسي. فإذا كان حزب الله موضوع، بإحكام، على " قائمة الإرهاب" للتصنيفات، فإن رأي المؤلف هو أن القيام بذلك يتنكرلفرصة هامة لتقييم

المنظمة كفاعل عقلاني – فاعل ستتكيف أهدافه الإحتمالية الطويلة الأمد ويسعى لإنضمام مشروع في العملية السياسية.

في تناقض مع المشاعر المعبر عنها من قبل نائب وزير الخارجية ريتشارد آرميتاج، تدور مدرسة فكرية أكاديمية بديلة حول فكرة ونظرية تقول بأن " حزب الله يشبه الجيش الجمهوري الإيرلندي أكثر مما يشبه شبكة القاعدة. فحزب الله حركة مقاومة وطنية هدفها الأوَّلي والرئيس كان إنهاء الإحتلال الأجنبي لأرضه." علاوة على ذلك، " إن حزب الله هو ، في نفس الوقت، حزب سياسي يشارك في الحياة السياسية الوطنية... وبقيامه بذلك يتحول ليكون براغماتياً أكثر فأكثر. أما النتيجة فهي أن القيادة وعامة الناس يصبحون منخرطين إجتماعياً أكثر فأكثر في ثقافة الحياة السياسية المحلية، ما يقود المرء للإعتقاد بأن الحزب كان في طريقه فعلاً لأن يصبح حزباً " طبيعياً".

تقوم هذه الأطروحة بإستكشاف 3 وجهات نظر حول حزب الله: واحدة ترى في حزب الله حركة إيديولوجية متصلبة عاجزة عن الإعتدال والتكيف مع الولايات المتحدة والثانية تعتبر حزب الله بمثابة منظمة مطواعة، مرنة، وبراغماتية في طريقها الى الإعتدال. أما وجهة النظر الثالثة، التي تتم مناقشتها في هذه الأطروحة، فتتناول الأرضية الوسط، محاججة بشدة بأن حزب الله ليس بأي منهما، بل أنه يتشكل من عناصر كلتيهما.

وتظهر فكرتان بدائيتان مميزتان: واحدة تقدم حزب الله على أنه مجموعة إرهابية خسيسة وبغيضة عاقدة العزم على الهيمنة الإسلامية وتدمير إسرائيل، والثانية، كاريكاتورية تبرز حزب الله على أنه ضحية ظروف: منظمة مقاومة بطلة تحاول بصدق وإخلاص أن تكون معتدلة، والحصول على أوراق إعتماد سياسية والإنضمام الى العملية السياسية المشروعة. ويزعم المؤلف بأن الحقيقة واقعة في مكان ما بين القطبين، بالرغم من الضباب والخطاب السياسي الإنفعالي الناشئ بسبب سنوات من العنف بين حزب الله ومنتقديه وأعدائه.

## د. مراجعة أدبية

إن المادة الأدبية المُراجَعة لهذه الأطروحة تقارب حزب الله من ثلاث وجهات نظر واسعة. الأولى تمثل حزب الله على أنه منظمة إرهابية عاقدة العزم على تدمير إسرائيل والعمل كمخرب لكل السياسة الأميركية في المنطقة. الثانية تنظر الى حزب الله كفاعل عقلاني ذي دفق شرعي مستمر كقوة مقاومة ضد الإحتلال الإسرائيلي للبنان، بالإضافة الى أنه قوة سياسية متطورة داخل الساحة السياسية اللبنانية. أما وجهة النظر الثالثة فهي متوازنة، تظهر حزب الله بأنه منظمة مقاومة سياسية لم تكن أعماله الماضية جميعها " نظيفة" ( ما يعني، رعايته لأنشطة على شاكلة الإرهاب)، مع ذلك، فإنه منظمة برهنت

أيضاً عن سلوك مؤسساتي مسؤول يتلائم والمعايير الدولية ( ما يعني، تقديم الخدمات الإجتماعية للمواطنين، الإذعان لقوانين الحرب والتصرف غالباً بشفافية بما يتعلق بأهداف ونشاطات دولته). وتركز هذه الأطروحة، كما وتناقش، وجهة النظر الثالثة.

تضمنت مادة المصدر المُراجعَة لهذه الأطروحة كتباً، مقالات صحفية على شبكة الإنترنت ومنشورات أخرى عديدة. عموماً، كانت الكتب محايدة أو متعاطفة في معالجتها لموضوع حزب الله، وكانت ذات رأي تمييزي منطقي في حكمها على كل من الافعال الجيدة والسيئة للمجموعة. أما معظم المواد الأدبية الهجومية السلوك تجاه حزب الله فكانت بشكل أوراق سياسية ومقالات رأي على شبكة الإنترنت. هذه المقالات، وفي حين أنها تحتوي على بعض الملاحظات المتبصرة والحكيمة، فإنها كانت دون المستوى في تحليلاتها بسبب ما عرضته من الإنحياز الصرف ومن دون تحفظ.

إن أفضل تحليل تاريخي مختصرومتوازن جداً هو: "حزب الله، تاريخ مختصر" ( *Hizbollah, A Short History*) للكاتب أغسطس نورتون. إذ يؤرخ نورتون على أساس تسلسل زمني صعود حزب الله بدءاً من أصله كفرع لجماعة أمل الشيعية اللبنانية الجنوبية. الرواية صريحة وواضحة، وهي تستخدم أسلوب روائي تاريخي، وتدور حول العوامل المؤدية الى تشكل حزب الله. وتشمل رواية نورتون بدايات المجموعة وصولاً الى أواخر عام 2006، واصفاً عواقب ونتائج حرب إسرائيل- حزب الله 2006، والأهم من ذلك المسرحية التي قام بها حزب الله للوصول الى السلطة بمناداته بحكومة وحدة وطنية (بإمكان البعض أن يحاجج قائلاً بأنها تكتيكات "إبتزازية").وقد أظهرت أحداث التاريخ بأن تحليل نورتون التكهني ( في الفصل الختامي) صحيح، مع تحقيق حزب الله أهدافه، بحسب ما يبدو، بتأسيس حكومة وحدة وطنية، بظل الرئيس ميشال سليمان في أيار 2008. إن البنية الحالية للحكومة اللبنانية تعطي حزب الله ما كان يسعى إليه : " القدرة على إستخدام الفيتو ضد قرارات الحكومة".

إن نظرة متوازنة على أسباب تشكل حزب الله، يقدمها محمد أيوب، مفصلاً مثالاً تاريخياً موازياً بين حماس وحزب الله مظهراً إياهما مجموعتين مقاومتين للمحتل الأجنبي وأن ذلك سبب وجودهما الرئيس. ويوضح أيوب تمايزاً هاماً لحزب الله كمجموعة من حيث أنه ليس مهتماً فقط بزرع بذور الإرهاب المحلي أو الأممي. إنه يبرهن بأن أهداف حزب الله محلية الطابع جداً وبأن لديه أهدافاً إستراتيجية واضحة.

**من الواضح من النقاش بأن حزب الله وحماس أكثر شبهاً بالجيش الجمهوري الإيرلندي منه بشبكة القاعدة. فهما حركتا مقاومة وطنية هدفهما الأولي والرئيس كان إنهاء الإحتلال الأجنبي لأراضيهما... إنهما حزبان سياسيان يشاركان في الحياة السياسية الوطنية بهدف التأثير على بلديهما؛ وعلى السياسات المحلية والخارجية... وفي هذه العملية، تحولت المجموعتان لتصبحا براغماتيتان أكثر فأكثر. ..لقد بدأت تصبح قياديتهما منخرطتين إجتماعياً، بشكل متزايد، في الحياة الثقافية والسياسية الديمقراطية، ما يقود المرء للإعتقاد بأنهما فعلاً بطريقيهما ليصبحا حزبين سياسيين**

" **طبيعيين".** ( Ayoob, The Many Faces of Political Islam: Religion and Politics in the (Muslim World, 129.

هناك رؤية محلية تاريخية مباشرة من المصدر قدمتها هلا جبر في كتابها "حزب الله، مولود بروح الإنتقام" ( *Hizbollah, Born with a Vengeance*). إن روايتها تمتد من مقابلات محلية مع قادة حزب الله منذ بداية المجموعة وتنتهي مع نهاية عملية عناقيد الغضب العسكرية الإسرائيلية في 1996. إن رواية جابر، ولو أنها متعاطفة الى حد ما، تحكي بالتفصيل وجهات النظر اللبنانية المتعددة حول الإحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان، الأسباب الموجبة للمقاومة، والدعم المقدم لحزب الله ( وضده). أما ما هو مثير للمشاعر، تحديداً، فرواية مفصلة عن جيش الدفاع الإسرائيلي وهو يقصف بلدة قانا المشغولة من قبل الأمم المتحدة والموت الدراماتيكي لـ 109 لاجئ لبناني. وحصيلة الكتاب فكرة تقول بأنه يبدو أن حزب الله متجه نحو الإعتدال والإندماج في الساحة السياسية. في كل الأحوال، إن العائق الرئيس أمام المساعدة في هذا التحول والإنتقال، أوتسريعه، هو تصنيف حزب الله كمنظمة إرهابية نمطية. " فطالما أن الغرب وإسرائيل مستمرون بإعتبار المسألة حملة ضد الإرهاب فإنهم في الواقع ينكرون مسؤوليتهم الخاصة بخصوص تعزيز الظروف التي من شأنها أن تعطي دفعاً لبروز وصعود حزب الله... ( فبتصنيف المقاومة " إرهاباً" يمكن لهذا الأمر أن يفضي الى الإستمرار بنكران شرعية قضية حزب الله).

هناك كتاب سياسي لـ Judith Harik يركز على حزب الله هو: "حزب الله، الوجه المتغير للإرهاب ( *Hizbollah, The Changing Face of Terrorism)*. في هذا الكتاب تنقب هاريك في رواية ذات أساس تاريخي عن تشكل حزب الله مع ملخص للتفاعل السياسي الأميركي تجاه المجموعة في عالم ما قبل وما بعد 9/11. وتؤكد هاريك على الدوافع السياسية لإدارة بوش بما يخص تصنيف حزب الله منظمة إرهابية والتعقيدات التي لهذا التصنيف في النهاية على تعزيز وتطوير أهداف السياسة الأميركية في لبنان ( والمنطقة)، بالإضافة الى العرقلة الذي يوجدها أمام إحتمال المساعدة في إندماج حزب الله في الحياة السياسية اللبنانية السائدة. إضافة لذلك، يستكشف الكتاب الروابط بين نظام الأسد في سوريا ( وإيران) ودعمه لحزب الله وسيطرته عليه. أما الملاحظة الخاصة فهي فكرتها عن أن النظرة المأخوذة عن الولايات المتحدة كـ " راع نزيه" وغير متحيز في المنطقة قد تضررت الى حد كبير بسبب سياسة تصنيف حزب الله كمنظمة إرهابية بالإضافة الى الإذعان السلبي البادي لأي من، بل وكل، السياسات الإسرائيلية العدوانية تجاه لبنان ( وداخله).

أخيراً، هناك رواية من المصدر الأصلي بالتمام يقدمها نعيم قاسم، نائب الأمين العام لحزب الله، في كتابه: "حزب الله، القصة من الداخل" ( *Hizbollah, The Story From Within*). فبالرغم من وجهة النظر المنحازة بالكامل والداعمة من دون أي تحفظ لحزب الله، يقدم الكتاب بالفعل إضاءة على فلسفة المجموعة بالإضافة الى رؤية صميمية لشخص على الطرف المتلقي للعقوبات السياسية الأميركية والإسرائيلية. فرواية

قاسم لها مسار شامل وحريص بشكل مضجر بالفعل؛ في كل الأحوال، من الصعب مقارعة تعليقاته حول السياسة الأميركية. فقاسم ليس شخصاً قصير النظر. إنه يبرهن عن تفوق فكري بالقضايا في أسوأ وأفضل الأوضاع على أساس متساو، وبالمقارنة، مع معظم صناع السياسة الغربيين– هذه الحقيقة وحدها تجعل معظم نقاط نقاشه الأشد تطلباً للإهتمام. فهناك فقرة شديدة الأثر تبين موقفه جيداً بما يتعلق بالعروض المتكررة المتقطعة لأعضاء في الكونغرس الأميركي للإجتماع مع حزب الله.

**لقد بينت العدائية الأميركية عن نفسها من خلال الكلمات والأفعال على حد سواء، وأحاطت بكل جوانب ومراحل وجود الحزب. هذا يتعارض ومعتقدات حزب الله وإدارته الفعلية، كونها متجانسة مع مبادئ الإسلام وقضية المقاومة المشروعة ضد الإحتلال الإسرائيلي. وبذلك، فقد إعتبر الحزب الدعوات للإجتماع والحوار أمراً عبثياً لا طائل منه، كونها مبلَّغة من خلال مسؤولي الكونغرس الأميركي... إن اللقاء بين الحزب والإدارة الأميركية لن يضيف شيئاً جديداً، لدراية كل فريق برؤية الفريق الآخر وبأن ذلك لن يبدل موقف أي من الجانبين.** ( Naim Qassem, Hizbollah, the Story from within,translated by Dalia Khalil- London:Saqi, 2005- 249.)

بسبب الإنحياز العلماني الغربي للمؤلف، تفقد مقالة قاسم مصداقيتها بالفعل في بعض الأحيان عندما يطلق خطاباته الملتهبة المعادية للغرب حول التفوق الظاهري لطريقة الحكم الإسلامي، لكن ولعه بتفضيل دولة إسلامية خاضع للمنطق المعقول. فالحكم الإسلامي هو بديل للفساد الموجود في الحكومة اللبنانية العلمانية الحالية. وبالإجمال، إن النص عبارة عن كتاب توجيهي في جزء منه – فهو يعبر بطريقة منهجية عن الأهداف السياسية لحزب الله ( نزولاً حتى تحديد سن الإقتراع للناخبين ) - وفي جزء آخر تحريري، مزيَّن كفاية بتعليقات سياسية موغلة بالآراء المعادية للولايات المتحدة وإسرائيل. إن الكتاب عبارة عن إضاءة مفيدة حول مسألة رؤية هذه المجموعة من خلال نظرتها هي وتقديمه رؤية ممتازة في كيفية رؤيتها لسياسة "العصا والجزرة" المقدمة لها من قبل الإدارات الأميركية المختلفة ( والتي بمعظمها عصي) ودول الجوار الإقليمية ( سوريا وإيران، المعروض عليهما الجزرات).

## ه.طرق ومصادر

تركز طريقة الدراسة التاريخية المستخدمة على حزب الله وكذلك على إحتمالية إستخلاص مقارنات مشابهة لـ " جماعات المقاومة الشقيقة" – حماس على سبيل المثال – للمساعدة على إنتزاع المقاييس الأساسية التي يقيس بواسطتها حزب الله نجاح سياساته. وبشكل رئيس، إن المصادر التي تستشهد بآراء مباشرة لقادة حزب الله، أعضاء الحزب، والمواطنين اللبنانيين عامة تبحث لترى أولاً، ما إذا كان هؤلاء الأفراد يعتقدون بأن مجموعتهم تحرز تقدماً ما، وثانياً، ما هي نماذج نقاط التحول التي يجب الوصول إليها والتي سترمز الى إحتمالية تحقيق الهدف.

إن مادة المصدر، التي تدعم هذه المقاربة هي، وبشكل رئيس، مقالات الصحف والمجلات ( على شبكة الإنترنت) ومقالات الرأي / الإفتتاحيات في الصحف المحلية (ما يعني صحيفة الدايلي ستار البيروتية). أما مواد الخلفية التحليلية الممتازة التي تحدد السياسة الأميركية بنزاهة وموضوعية وترسم رؤية شاملة دقيقة لا تشوبها شائبة للوضع فهي تقارير CRS المقدمة للكونغرس.

### و. تلخيص الأطروحة

تهدف النقطة الأساسية للأطروحة الى إظهار تحليل دقيق لأحداث أساسية في سلوك وسياسة حزب الله المثبتان تاريخياً بالإضافة الى إظهار كيفية قيامه بتعديل نفسه وتكييفها إزاء الوقائع المتحولة للساحة السياسية اللبنانية وإزاء مناصريه الشيعة.

إن الأطروحة منظمة الى ثلاثة أقسام. الثلث الأول من الأطروحة يتعامل مع التاريخ السياسي للبنان وحكومة الشيعة. الثلث الثاني يحلل حزب الله من خلال عدسة " نظرية الحركة الإجتماعية" ( SMT). فهو يبحث في إعتدال حزب الله المحتمل مفصلاً أحداثاً معاصرة بارزة بما يتعلق بالكيفية التي موضعت فيه هذه الأحداث الحزب لجهة إندماجه في الحياة السياسية اللبنانية اليوم. أما الثلث الثالث فهو الإستنتاج.

## 2. رؤية تاريخية لوضع الشيعة اللبنانيين السياسي

### أ. مقدمة

يُعتبرحزب الله، حالياً، " القوة" الموجودة في الدوائر السياسية اللبنانية. ويحيط الجدل بالمجموعة وبتاريخها الدراماتيكي المثير. فحزب الله منظمة سياسية محلية كما أنه حركة مقاومة دولية ضد إسرائيل. أما الحكومات الغربية فتعتبره منظمة إرهابية. وفي حين أن هذه العناوين صحيحة، يخفق عقم هذه المصطلحات بفهم ميزة هذه المجموعة بشكل مناسب. لقد خضع حزب الله لتطور بارز وهام خلال وجوده طوال 24 عاماً. إنه حركة سياسية في الموقع الفريد ( داخل لبنان) لجهة المحافظة على سيطرة حصرية على ميليشيا شبه مستقلة أو متساهل بشأنها بشكل تُحسد عليه. ونتيجة لذلك،، تعتبر المجموعة بمثابة تهديد مزعزع لإستقرار التوازن النسيجي لسيادة الدولة اللبنانية السياسية.

وبالعكس، إن نفس هذه الميليشيا " التهديدية" مدعومة، بتردد، لأجل التكاتف ووحدة الصف العربي ورداً على العدائية الإسرائيلية المستشعرة من قبل أغلبية الأهالي. فقد أثبت التاريخ بأن حزب الله كان رادعاً فعالاً للغزو الإسرائيلي، داعماً موثوقاً للقضية الفلسطينية، بالإضافة الى كونه مقدم خدمات إجتماعية خيرية محلية (وفعالة). هذه النجاحات مستقلة تماماً عن حكومة لبنان وقد أكسبت حزب الله المصداقية. فحتى أشد المتهكمين من المنتقصين السياسيين يعترفون بإنجازات حزب الله.

إن إزدواجية علاقة الحب والكره التي لدى حزب الله مع الحكومة اللبنانية تخلق دراسة مثيرة للإهتمام. فأهداف حزب الله لا تسير، دوماً، بالتوازي مع أهداف أغلبية الشيعة اللبنانيين مما يسبب توتراً في غالب الأحيان. أما الأمر المؤكد، فهو أن حزب الله يعتني بنفسه أولاً وقبل أي شيئ ؛ في كل الأحوال، هو يحصد الإحترام. وكي نفهم بالكامل لم يمكن لحزب الله أن يكون مدعوماً وجدانياً في حين أنه مكروه فكرياً في نفس الوقت، فإن من المفيد إلقاء نظرة على تاريخ الإضطهاد السياسي اللبناني للشيعة. فالتاريخ يبرهن على أن الخيارات البراغماتية التي أخذها الشيعة والتي لا تفسير لها في أحوال كثيرة كانت إما لإدخالهم في الحكومة، وإما، وببساطة، لتركهم وشأنهم ليعيشوا.

هذا الفصل يشرح الأسس الدافعة التي تقف خلف الفعالية النضالية السياسية الشيعية الحالية المتجسدة بحزب الله. وكما يُظهر الفصل، فإن التحرك السياسي الشيعي لم يحدث بين ليلة وضحاها في العام 1979، بل تسارع بسرعة في النصف الثاني من القرن العشرين بعد خموده في ظل الإمبراطورية العثمانية. لقد تحمل الشيعة اللبنانيون المحرومون تاريخياً قروناً من القمع والتصوف السياسي فقط ليُحرَّكوا سياسياً من قبل السيد موسى الصدر أواخر الخمسينات، وليتطرفوا بسبب وجود منظمة التحرير الفلسطينية داخل لبنان في أواخر الستينات، ويُعبؤوا من جراء التأثيرالمثبت للثورة الإسلامية في أواخر السبعينات.

## ب. الأهمية

في قلب نجاح حزب الله هناك الألق الذي تحمله المجموعة بالنسبة لكثير من الشيعة اللبنانيين المحرومين إقتصادياً وسياسياً. فالتمييز السياسي والإجتماعي الذي يواجهه اللبنانيون الشيعة هو موروث مشؤوم من تاريخهم الديني؛ في كل الأحوال، لم يكن هذا هو الحال دوماً. ففي القرن العاشر، كان المذهب الشيعي مهيمناً في العالم الإسلامي مع السلالتين الحاكمتين، البويهيين في بغداد والفاطميين في القاهرة. فالمذهب الشيعي كان مهيمناً من بلاد الفرس ( إيران اليوم) وصولاً الى بلاد ما بين النهرين( العراق)،منطقة بلاد المشرق الواقعة على البحر المتوسط وعلى إمتداد شمال أفريقيا.

هذا الوضع تغير في القرن احادي عشر، مع إنحدار كلتا الإمبراطوريتين الشيعيتين وصعود الإمبراطورية العباسية السنية. فالبويهيين سلموا الأراضي تدريجياً للمسلمين السنة والأتراك السلجوقيين. وحل العباسيون السُنة مكان السلالة الفاطمية. " إن سقوط الفاطميين وإحتلال سوريا من قبل صلاح الدين الأيوبي أثبت إستحالة إنعكاس الوضع. هذه الأحداث أدت الى بدء قرون من القمع والإضطهاد للشيعة على إمتداد العالم الإسلامي. ولم يكن الشيعة اللبنانيون، ومعظمهم إثني عشرية، إستثناء."

ج. تـ

ركيبة الشيعة اللبنانيين

إن أكثرية المجتمع الشيعي على إمتداد العالم تتألف من إحدى التركيبتين: الإثني عشرية والسبعية، المعروفون رسمياً بالإسماعيليين. إن التسمية العددية لكل مجموعة تعود الى من مِن الأئمة الإثني عشر الأصليين تظهر المجموعة ولاءها وإخلاصها. **هذا الولاء،**

**نشأ من أزمة أو تسبب به موت أو إختفاء إمامهم وبذلك عرقلة قضية الخلافة بالوراثة. فبالنسبة للإثني عشرية، حدثت نهاية الخلافة الإمامية في العام 874 مع إختفاء الإمام الثاني عشر، الطفل محمد المنتظر. وقد حل الفقه الشيعي هذا المأزق المحير بعقائده حول غياب الإمام أو إحتجابه، وبأن عودته في المستقبل ستكون بصفته المهدي ( المنتظر). فبالنسبة للشيعة، فإن الإمام لم يمت لكنه إختفى ومضى الى مخبأه أو عزلته. وسوف يعود بصفته المهدي، الشخصية المخلّصة، في نهاية العالم ليثأر لأتباعه المخلصين، ولإعادة المجتمع ( الشيعي) الى مكانته الصحيحة، وقيادة وإرشاد مجتمع إسلامي مثالي تسوده الحقيقة والعدالة. وأثناء غياب الإمام المختفي، كان على المجتمع الشيعي إنتظار عودته وأن يتم إرشاده من قبل فقهاء دينيين، أي المجتهدون، أولئك العلماء الذين يفسرون إرادة الله والقانون الإسلامي للمجتمع.** ( Esposito, Islam: (The Straight Path, 45.

إن الأهمية الموجودة في تاريخ لبنان في القرنين العشرين والواحد والعشرين وفي القرنين السابع والثاني عشر دراماتيكية. فمن جهة، هناك موضوع القيادة الشيعية المعزولة ( أو المختفية) ومن جهة أخرى، هناك سقوط الشيعة من مستوى تفوقهم السياسي، مع وعد العودة الحتمي. فالشيعة الإثني عشرية لا يترددون برسم خط تساو حاسم بين القرون المختلفة. فالقادة، الأسماء وتواريخ التقويم قد تكون مختلفة لكن فكرة الموضوع هي نفسها. فتماماً كما سقط الشيعة عن صهوة السلطة السياسية في العام 1171، فإنهم يعتبرون زمن اليوم على أنه زمن تحقيق قدرهم الموعود بقدر ما هو زمنهم "المبرر دينياً" لإستعادة السلطة السياسية.

إن مصادفة الإختفاء الغامض والإحتجاب ليست بالأمرالغائب عن أذهان الشيعة اللبنانيين: لقد حدث ذلك للشخصية القيادية الشيعية الأهم في العصر في العام 874 (محمد المنتظر) كما حدث مؤخراً أيضاً، بالنسبة لأولئك المؤمنين بذلك، مع الصدر في العام 1978. إن واقع " إختفاء" الإمام موسى الصدر في العام 1978، بعد 1104 عاماً من إختفاء المهدي، أمر يتجاوز التصادفية والبراهين في أذهان كثير من الشيعة، حيث أن الصدر يحمل نفس الأهمية الإلهية لتلك التي للإمام الثاني عشر. وكان لمهابة هذا الوضع فضل متناسب على الحركة الدينية والسياسية التي بدأها: "حركة المحرومين".

تعززت المشروعية بإختفاء الصدر وأصبحت مصداقية حركته الإجتماعية الشيعية صلبة ومتينة، بسبب المقارنة المبنية على التشابه الجزئي التاريخي. وبالنتيجة، وفي تقدير إستدلالي خلاق للتصوف الشيعي (الغيب)، فإن " مبرر" معتقدهم هو التوجه الحالي للصعود الشيعي نحو السلطة السياسية، بدءاً من إيران في العام 1979، وصولاً الى العراق عام 2003، فلبنان في حزيران 2009 (وهذا إحتمال). إن عودة بروز السلطة السياسية الشيعية عبر الشرق الأوسط أمر يمنح المصداقية لأولئك الذين يعتقدون بعودة المهدي المخلص والثقة بهم. ففي أذهان الشيعة المنفتحين الإستيعابيين، قد تكون إمكانية العودة الى السلطة السياسية هي إحدى المراحل الطبيعية الحيوية لنبوءة الثأر لـ " إستعادة المجتمع الشيعي لمكانه الصحيح." إن الشيعة يختبرون الآن هذا " الثأر" في لبنان وحزب الله يستخدم هذا الإطار الإجتماعي والديني ذي الصدى العاطفي العميق لتعزيز وتطوير قاعدته الداعمة.

د. م

## كان إستقرار الشيعة في لبنان

إن المناطق المدينية الفقيرة لشرق وجنوب بيروت ( المعروفة أيضاً بـ "حزام البؤس") والمناطق الريفية الشيعية لجنوب لبنان وسهل البقاع هي قاعدة الدعم السكاني لحزب الله. وللمساعدة في تحليل حزب الله وقاعدته الداعمة، من المفيد إلقاء نظرة على الكيفية التي جاءت فيها " القاعدة" ( قاعدة حزب الله) لتقيم حيث فعلت. فبقدر ما كان الشيعة مهمشين سياسياً من خلال تمثيلهم الذي خولهم إياه الميثاق الوطني عام 1943، فإنهم كانوا مهمشين جغرافياً بسبب التهجير في العقود السابقة. إن الموضوع الأهم والأولوي الكبير هي قصة الهيمنة السياسية والإقتصادية، والتي بدأت بالإنتقال المادي الجسدي الجديد للطوائف الشيعية الى أماكن جديدة. هذا الإنتقال القسري الجديد بدأ ما أن بدأت مصالح الإمبراطوريات الإسلامية السنية تصطدم مع السكان الشيعة الأصليين. فالصراع الذي تسبب به الإحتكاك الطائفي المشرقي أيام القرون الوسطى لم يكن مستشعراً من قبل شيعة لبنان الإثني عشرية فحسب، بل كان مفروضاً على أبناء عمهم اللبنانيين البعيدين، أي الدروز، وهم طائفة شيعية أخرى في لبنان. ففي فترة ما بين القرنين العاشر والحادي عشر، تشكل الدين الدرزي من مبشرَيْ الإمبراطورية الفاطمية،

وهما دَرَزي و حمزة إبن علي. لقد جاءا الى جنوب لبنان بتوجيه من الخليفة الحاكم لتحويل الإسماعيليين ( السبعية) عن مذهبهم ووقف إنتشار معتقدهم. وبشكل مثير للسخرية، فإن دورة إخضاع الشيعة إكتملت في قرون لاحقة، عندما قام الدروز بدورهم - الذين تحولوا الى طائفتهم الدينية الفريدة الخاصة بهم، وبذلك أسقطوا جميع أفخاخ " التشيع" – الى تهجير الشيعة داخل لبنان.

## ه.إخضاع الإثني عشرية في لبنان

إن عرف التهجير داخل لبنان ليس فريداً ومحصوراً بـ "السبعية" (الإسماعيليين). فقد حدث أيضاً للطائفة الإثني عشرية، ومن القرن الحادي عشر فما بعده، ينعكس تاريخ من الإضطهاد بسبب الدين. فالإثني عشرية إستقروا، بالأصل، على إمتداد كل الأرض التي هي اليوم لبنان الحديث، مع وجود أكبر تجمعات لهم في الجزء المنخفض من جبل لبنان وعلى طول المدن الساحلية. في كل الأحوال، ومع سقوط السلالة الحاكمة الفاطمية في العام 1171، قامت جماعات المماليك بين عامي 1291 و 1305 بطرد الشيعة من كل الأرض التي كانت مزدهرة تجارياً أو هامة تكتيكياً. فالشيعة، كالدروز، وجدوا اللجوء في مناطق كانت في ذلك الزمن أجزاء نائية للغاية من لبنان ( في عصرنا الحاضر): سهل البقاع في المنطقة الشمالية الشرقية، والداخل الجنوبي القاحل المتموج الشكل.

وما أن تهجروا، حتى كانت مناطق تركز الشيعة الجديدة " في مناطق جبل عامل القاحلة المجدبة في جنوب لبنان وسهل البقاع." إن واقع كونهم قد دُفعوا الى مناطق خشنة قاحلة مجدبة يدل، بالتحديد، على نموذج الخلع الإقتصادي الذي إستمر على مدى العقود اللاحقة والتي إنتهت بالشيعة لأن يصبحوا ، وبشكل دائم، الطبقة الإجتماعية الدنيا في لبنان.

**أول الأمر تم إستبدال الشيعة بالسُنة لأن المدن الساحلية كانت تشكل مراكز تجارية حيوية بالنسبة للمماليك. ثانياً، تحول المماليك لطرد الشيعة من الجبال، تحديداً من كسروان، التي تشرف على الطرق الساحلية. ولاحقاً، إستبدل المماليك الشيعة في شمال لبنان بعشائر التركمان للإحتفاظ بمراقبة الساحل وتأمين الطرق الجبلية التي تؤدي الى الجزء الداخلي من البلاد وصولاً الى دمشق.** ( Hamzeh, In the Path of Hizbollah, 9.)

وإستمر الحرمان من الإمتيازات وحق المواطنة، " بظل الحكم العثماني للبنان من العام 1516 حتى العام 1922. إذ فقد الشيعة، تقريباً، كل الأرض والسلطة لصالح المجتمعيْن الماروني والدرزي المتوسعيْن." وفي العام 1638، مضى الشيعة بعيداً بطلبهم الإستقلال عن الإمبراطورية العثمانية. وكانت النتيجة أن تمت مهاجمتهم وأعيد إخضاعهم مع خسارتهم لـ 1500 رجل . وكان إضطهاد الشيعة من قبل العثمانيين

مترافقاً مع سياسة تمييز طويلة الأمد. فعلى خلاف السنة، المسيحيين، والدروز، الذين كان مسموحاً لهم من قبل النظام العثماني بأن يكون لهم محاكمهم وقوانين الحالات الشخصية الخاصة بهم، إعتُبر الشيعة خارجين عن الدين من قبل العثمانيين. فالحصانه من النظام العثماني نتجت بطريقة ما من فكرة الخروج عن الدين المتبناة من قبل العثمانيين السنة، لكنها نشأت على الأغلب من هواجس حول الولاء السياسي. وما أن ترسخت الإمبراطورية الصفوية بقوة في بلاد فارس، حتى أصبح العثمانيون متشككين إزاء كل الشيعة الموجودين داخل إمبراطوريتهم – تحديداً، بعدما قام الحكام الصفويين بترسيخ علاقات ديبلوماسية جيدة مع الشيعة الموجودين في منطقة جبل عامل جنوب لبنان. وما أن تحسنت العلاقات بين الشيعة اللبنانيين والصفويين الفرس، حتى إنحدرت الثقة الهشة الممنوحة للشيعة اللبنانيين من قبل حكامهم العثمانيين. الى درجة أن " العثمانيين وضعوا الشيعة تحت الحكم المباشر للمحاكم السنية في قضايا الأحوال الشخصية." أما تفسير المواطنة من الدرجة الثانية المعطاة للشيعة فكان واقع إلزام أفراد الطبقة الدينية الشيعية، أي العلماء، بالخدمة العسكرية خلال زمن الحرب في حين كان العلماء السنة مستثنين من ذلك.

## و. الولاءات السياسية للشيعة اللبنانيين في القرن العشرين

بعد الحرب العالمية الأولى، أفضى إنحلال الإمبراطورية العثمانية الى حصول الفرنسيين على " إنتداب حاكم" من عصبة الأمم على ما يُعرف اليوم بلبنان وسوريا الحديثين. وفي إنحراف عن الرؤية السياسية لمواطنيهم المسلمين، ضغطت الطائفة المارونية على السلطات الفرنسية للحصول على بلدهم المنفصل الخاص بهم. أما شيعة " لبنان الكبير" المرسوم حديثاً فكانوا في صراع نفسي. فهم إستشعروا بأن الرياح السياسية كانت تهب عكسهم وبأنها تسير مع المسيحيين الموارنة. وأجبرتهم البراغماتية السياسية غلى التحالف مع مواطنيهم المسلمين السنة.

رغم أن العثمانيين السُنة كانوا قد أخضعوهم على إمتداد السنوات، فقد رأى الشيعة أن حظوظهم السياسية تسير بالتوازي مع تلك التي لرفاقهم المسلمين السنة بدلاً من أن تسير مع مصالح المسيحيين المدعومين فرنسياً. ونتيجة لذلك، دعم الشيعة الرغبات السنية بتأسيس المملكة الهاشمية المتاخمة لهم. وكانت هذه المملكة ستتألف من كل من لبنان وسوريا. ثانيا، لقد تخوف الشيعة اللبنانيين من العيش في لبنان الكبير حيث يمكن لهيمنة الدولة المارونية أن تقوم بمعاقبتهم بـواسطة "الإهمال السياسي والإجتماعي التام."

وفي نموذج للحظ السياسي العاثر الذي سيُكرَّر بشكل مشابه في الحرب الأهلية اللبنانية في السبعينات، إنتهى الأمر بالشيعة الى تحمل القسم الأكبر من نتائج النزاع (عدد الضحايا والإصابات). لقد إستطاع السنة المتواصلون سياسياً مع العثمانيين أن يتدبروا تفادي إثارة حنق الفرنسيين وسمحوا للشيعة بأن يكونوا بؤرة مناصري فكرة

لبنان الكبير. ففي حملهم السلاح دفاعاً عن الإسلام – والسُنة – وجد الشيعة أنفسهم، من غيرأن يدركوا، مخدوعين ومتلاعباً بهم وليصبحوا الهدف الرئيس للحملة العسكرية المارونية – الفرنسية. هذا الأمر أدى الى صراعات مسلحة بارزة مع الموارنة في العام 1919 ومنتصف عام 1920، لينتهي الأمر بشيعة جبل عامل وهم يكابدون العبء الكامل لقوة فرنسية مؤلفة من 4000 جندي، ومن سلاح الجو والمدفعية. ( لم تكن هذه المرة الأولى التي يحارب فيها الشيعة ويموتوت بأعداد هامة لأجل قضية ليست قضيتهم بشكل تماسي. إذ حصل أمر مشابه خلال الحرب الأهلية اللبنانية في العام 1978، عندما كان اللبنانيون الشيعة ومنظمة التحرير الفلسطينية حلفاء مؤقتين. إذ قيل حينها بأن الفدائيين " الفلسطينيين" كانوا مستعدين " للقتال حتى آخر شيعي")

وبعد حملة عسكرية شديدة، تم تحطيم المقاومة الشيعية وأُجبر وجهاء وعلماء الشيعة على توقيع إستسلام رديء وكيفما كان. هذا الإستسلام جعل مسألة تأسيس لبنان الكبيرأمراً حتمياً.

**لقد جعل الإستسلام في حزيران 1920 الأمر أسهل بالنسبة للفرنسيين لجهة دمج جبل عامل والبقاع الشمالي في دولة لبنان الكبير الجديدة، التي تم الإعلان عنها رسمياً في 1 أيلول 1920. وعندما أصبح لبنان مستقلاً في 22 تشرين الثاني 1943، شعر الشيعة بأنهم كالأولاد المنبوذين لدولة يحكمها تحالف ماروني – سني. وبالإجمال، إن شعور الشيعة بالمعاناة والإضطهاد الديني كتجربة تراجيدية أدى الى تقديم حزب الله في العام 1982 في مجتمع عرضة للإجتذاب على نطاق واسع .** (Hamzeh, In the Path of Hezbullah, 12.

## 1. تـ
## طور سياسي غير متكافئ

ما أن بدأت الحكومة اللبنانية المستقلة بأداء وظائفها بعد العام 1943، حتى كان ما حصل عليه الشيعة من التمثيل السياسي الضئيل أو المكسب الإقتصادي بسيطرتهم على المركز المراسيمي الرسمي، أي رئاسة مجلس النواب " مخصصاً ومستملكاً كإقطاع شخصي من قبل أفراد عائلات لبنانية شيعية بارزة قليلة. إذ لم يكن الشيعة ممنوعين فقط من تولي المراكز العليا التي كانت مهمة حقاً فحسب، بل قام نخبهم بمفاقمة المشكلة أيضاً. بالواقع، وبما أن الشيعة كانوا هم الطبقة الإجتماعية الأدنى، وبذلك لم يكونوا يملكون نفوذاً كبيراً كشعب، فإن النظام لم يكن مجبراً على تسليمهم أية سلطة هامة. إن خمودهم وسذاجتهم وبساطتهم التطورية النسبية منعتهم من الوقوف والقتال للحصول على حصة أكبر في الحكومة. إن عقوداً من القصور الذاتي والإضطهاد أدى الى سحب الفعالية النضالية السياسية عن الطاولة كخيار جاهز بالنسبة للشيعة. " كان الشيعة متمركزين، بشكل رئيس، في الريف ولم يشاركوا بقدر مؤثر في السير نحو الحداثة والتعليم اللذان خلقا طبقة من النخب داخل مجتمعات دينية أخرى وحولا بيروت الى عاصمة فكرية للعالم العربي. ففي المجتمع الشيعي، كانت المقامات الدينية هي من حافظ على القبضة الأقوى."

هذا التوازن ما كان ليصمد الى الأبد. فمن خلال قوة النمو السكاني الهندسي البسيط، كانت ديمغرافية لبنان على وشك التغير جذرياً.

**قادت التقاليد القروية وفقر الشيعة المدقع الى حدوث نسبة مواليد أعلى بكثير من تلك التي لدى المجتمعات الأخرى، بحيث كانت أعدادهم، بحلول السبعينات، قد تزايدت بشكل كاف لقلب التوازن الديمغرافي الذي بُنيت عليه الحياة السياسية اللبنانية، من دون تقويم ومعالجة للوضع. أما الأسوأ، فهو بدء قسم ضخم من الجيل الشيعي الشاب، الذين لم يعد بإمكانهم تحصيل لقمة عيشهم من الأرض، الهجرة الى الضواحي الجنوبية للعاصمة بيروت، حيث شكلوا كتلة مكتظة جداً، ناقمة بشدة وفقيرة من المدِنيين، الذين لا يكنون إحتراماً كبيراً للدولة اللبنانية أو لديهم وقت لها.** ( Kepel, (Jihad: The Trial of Political Islam, 124.

## 2. أ

### حداث دموية في التطور السياسي الشيعي

في حين أن الديمغرافيات المتغيرة مفيدة في شرح " الكيفية" التي خرجت بها قاعدة الدعم الكبيرة الى الوجود، فإن مكونات سياسية عديدة تشرح " السبب." هذه العناصر أدت الى تطرف الجيل الجديد من اللبنانيين الشيعة وإثارة وعيه والإنتقال من موقف السكون والقبول التاريخي، الى موقف النشاط والعمل وعدم التساهل بحصته السياسية والإجتماعية – الإقتصادية غير المتكافئة في الحياة. هذه الأحداث تتمحور حول حدثين رئيسين في التاريخ اللبناني: (1) وصول الإمام موسى الصدر في أواخر الخمسينات، و (2) وصول منظمة التحرير الفلسطينية في السبعينات. هذان الحدثان وفرا الشرارة ( الصدر) والوقود ( منظمة التحرير) للتسبب في حدوث عاصفة نارية من التحرك السياسي الشيعي. فما بدأ كجمرة متقدة من الفعالية النضالية السياسية في الخمسينات، كان قد أشعلها الإمام الصدر، أصبحت ناراً بعد 20 عاماً بسبب التأثير الراديكالي لوجود منظمة التحرير الفلسطينية داخل لبنان. كان ذلك هو ما أشعل بروز الفعالية النضالية الشيعية الراديكالية.

- "

#### النكبة" العربية – الإسرائيلية عام 1948 وهجرة اللاجئين الفلسطينيين الى داخل لبنان

أدت هزيمة الجامعة العربية خلال حرب الإستقلال الإسرائيلية عام 1948 الى تهجير 750000 فلسطيني خارج فلسطين. وتسببت " الكارثة" ( أو النكبة) بإستقرار 125000 فلسطيني، معظمهم من شمال فلسطين، داخل مخيمات للاجئين قرب المدن الساحلية اللبنانية الرئيسة. وقد أثبت القبول النبيل والشهم للاجئين بأنه كان طوعياً، حدث

وحيد من نوعه بالنسبة للفلسطينيين من حيث التعبير عن التضامن والتكاتف اللبناني مع القضية العربية. وتدريجياً، إندمج اللاجئون سلمياً في المجتمع اللبناني. "ففي الوقت الذي عاش فيه كثير من الفلسطينيين في مخيمات اللاجئين، أخذ آخرون دورهم ليكونوا جزءاً من الحياة الإقتصادية والفكرية للبلاد. أما بالنسبة للفلسطينيين، فإنهم لم يدعموا السياسات العربية الى حين بروز منبر ناصر العسكري ( حيث أصبح الفلسطينيون ناشطين سياسياً). فمن دون قيادة، مقسمة ومشتتة، كانت الكتلة الفلسطينية سلبية سياسياً حتى أوائل الستينات. أما أهمية هذه " السلبية" فكانت عدم تسببها بأي إحتكاك إجتماعي مع الشيعة ، كما أنها، وهذا هو الأهم، لم تتسبب بمنافسة سياسية. وما أن وصلت منظمة التحرير الفلسطينية الى لبنان قادمة من الأردن على إمتداد مسار زمني إمتد من العام 1969 وحتى 1971، حتى تغيَّر هذا الوضع الهادئ بشكل جذري وقاس. " بعد هزيمة منظمة التحرير الفلسطينية عام 1970 في الأردن، أعاد ت كتلة مقاتلي منظمة التحرير الفلسطينية تموضعها في جنوب لبنان، حيث واصل المقاتلون عملهم بإغتصاب سلطة السلطات الشرعية والحلول محلها." وبدءاً من العام 1969، تقبلت الحكومة اللبنانية، مرة أخرى، وجود الفلسطينيين داخل أراضيها؛ في كل الأحوال، هذه المرة كان الأمر إذعاناً لمنظمة التحرير الفلسطينية. فـ " التقبل" اللاطوعي والمشحون بالبغضاء كان منشأه الإبتزاز السياسي المحلي المتسم بالعنف وبرعاية منظمة التحرير. ولم يكن لوصول هذه المنظمة الى لبنان إلا ليكون له تأثيرات إستقطابية راديكالية على المشهد السياسي الهش.

- حـ

## رب الأيام الستة وإتفاق القاهرة عام 1969

كان لحرب الأيام الستة عام 1969 التأثير المدمر على الإيمان بالقوة العربية المبنية على الناصرية ورسخت الأرضية للحركة السياسية الشيعية الطرية العود، لتتطور بسرعة بظل قيادة موسى الصدر، الذي كان ضرورة لحركة سياسية شيعية مستقلة. فقضية سياسية تعمل لأجل الشيعة من قبل الشيعة داخل لبنان هي، فقط، ما سيكون لها قدر من الفعالية لهذه الطائفة المحرومة تاريخياً.

كان لهزيمة العرب بظل الناصرية تأثير أيضاً على جعل الوجدان السياسي لـ "الشارع" العربي اللبناني يعيد توجهه، ليصطف الى جانب قضية منظمة التحرير الفلسطينية الثورية. فالهراوة المرفوعة لأجل حمل " القضية العربية" قد تم تمريرها الآن من ناصر الى عرفات. فبعد حرب 1967، " كل لاجئى كان رجل حرب عصابات محتمل في منظمة التحرير الفلسطينية." وبدأت هجمات برعاية المنظمة داخل شمال إسرائيل إنطلاقاً من الجنوب اللبناني. وقد رد الإسرائيليون على هذه الهجمات بغارة كوماندوس على مطار بيروت، في 28 كانون أول 1968، وتفجير 13 طائرة تجارية مدنية لبنانية. هذا الهجوم شكل علامة رسمية على بدء النشاط العسكري الإنتقامي موزعاً على شكل صراع فوضوي وقذر مؤلف من ثلاث طرق: بين جيش الدفاع

الإسرائيلي ومنظمة التحرير الفلسطينية، بين الجيش اللبناني ومنظمة التحرير، وبين الجيش الإسرائيلي والجيش اللبناني. ومن بين الفرق المتقاتلة الثلاث، كان الجيش اللبناني، الأقل قوة والأقل تجهيزاً، عالقاً بالصدفة في تقاطع النيران بين الأفرقاء وكذلك كان حال الحكومة اللبنانية المحلية. أما جغرافياً، فقد كان الجنوب اللبناني المكان الطبيعي لنشاط حرب العصابات العابر للحدود الذي إتخذته منظمة التحرير منطلقاً لها؛ وكان الشيعة الذين يعيشون في الجنوب اللبناني على وشك أن يصبحوا المجموعة الأكثر تأثراً مباشرة بسبب سنوات الحرب التي كانت على وشك أن تبدأ.

لقد جعل الصراع التوترات التي كانت حاضرة دوماً بين الطوائف اللبنانية تنمو وتزداد.

**كان لدى المسلمون اللبنانيون، من جانبهم، وتحديداً القادة السُنة، قراءة مختلفة للمشكلة. فبالنسبة إليهم، كان النضال الفلسطيني جزءاً من رزمة القضية العربية التي دعموها منذ تشكيل لبنان الكبير. فأولاً، وبعد الحرب العالمية الأولى، كانت هناك الحركة القومية العربية بقيادة فيصل في دمشق، والتي ناصرت قضية الوحدة العربية. وفي الخمسينات، برز عبد الناصر كقائد أعلى وناطق بإسم العروبة. ومنذ عام 1967، أصبحت منظمة التحرير الفلسطينية، برمزيتها الثورية القوية، القضية التي تحول إليها كثيرون لإستلهام الوحي والقيادة.** ( el Khazen, The Breakdown of the State in Lebanon (1967-1976, 149.

لم يكن الشيعة إستثناء في كونهم عالقين في هذه الحُمَّى السياسية. فبالرغم من أن الأهداف السياسية الفلسطينية والشيعية لم تكن متطابقة، فإنها كانت قريبة كفاية لتعطي روح القضية الفلسطينية إطاراً رناناً يجد صداه في أوساط الشيعة اللبنانيين.

لقد سمح إتفاق القاهرة، رسمياً، الموقع في 3 تشرين الثاني 1969، بتشكل صيغة " الدولة ضمن الدولة" السيئة الذكر بما يخص منظمة التحرير الفلسطينية. وكان الإستقلال الذاتي لمنظمة التحرير داخل لبنان ليستمر الى أن تم طردها من لبنان في العام 1985. أما التأثير الصرف لمنح الحكومة اللبنانية منظمة التحرير الإستقلال الذاتي ضمن لبنان فقد كان له الأثر البادي ( والآليات) لجهة أنشطة رجال حرب العصابات ضد إسرائيل المتجاوز عنها ضمنياً. هذا المفهوم كان مفجِّراً ومزعزعاً للإستقرار جذرياً بالنسبة للنظام الطائفي الهش. إذ أثبت وجود منظمة التحرير بأنها القوة "الأكثر إستقطاباً" داخل كل الحياة السياسية اللبنانية. وبالنتيجة، فإن ذلك كان ليؤدي الى جعل المسائل حادة بين الفئات الطائفية، والى تشكيل ( و/ أو نعزيز) الميليشيات وإندلاع الحرب الأهلية عام 1975.

ج

- تجند الشيعة للحرب وتشربهم الروح االقتالية .

بحلول العام 1974، كان شيعة الجنوب اللبناني قد تحملوا وصمدوا أمام 5 سنوات من الأحداث المشوشة الشبيهة بالحرب بسبب الصراع العابر للحدود بين منظمة التحرير الفلسطينية وجيش الدفاع الإسرائيلي. ورغم أن حركة فتح ، وهي فرع من منظمة التحرير، كانت في بعض الأحيان تدرب وتجهز الجناح العسكري لما أصبح يُعرف بحركة المحرومين التابعة لموسى الصدر، فإن هذا التحالف المحير لم يكن ليدوم. ففي بداية حرب يوم الغفران عام 1973، كان الوضع السياسي داخل لبنان قد بدأ يتحول الى فوضى مسببة للإضطرابات عندما بدأت منظمة التحرير تتطلع الى دمج وإستثمار أية مكاسب تصنعها نتيجة الحرب. هذه العملية تسببت بغضب وإضطراب عنيف مفاجئ داخل منظمة التحرير، بان عن نفسه من خلال الصراع المسلح بين الفصائل الداخلية. أما حصيلة هذا الأمر فكان تعزيز التسلح داخل منظمة التحرير، وكذلك تسلح الفئات السياسية اللبنانية في الخارج.

كانت منظمة التحرير في هذا الوقت محصنة ومتخندقة بقوة، بكل ما للكلمة من معنى بالمخيمات الفلسطينية على إمتداد البلاد، وكانت مسيطرة جغرافياً على قسم كبير من الجنوب اللبناني، بما يمكن تسميته " دولة مؤخرة". وقد خلق " سباق التسلح" والإستقلال الذاتي الفلسطيني الواقعي إحتكاكاً حاداً على إمتداد المجتمع السياسي بدءاً من المناصب العامة للطوائف السياسية المحلية اللبنانية المختلفة وصولاً الى سلسلة القيادة للممثلين في البرلمان والوزراء في مراكز السلطة الحكومية. كان لبنان يتمزق ويتناثر. فالجيش اللبناني لم يكن بإمكانه تعزيز أي من "قوانين الإدارة" التي تم وضع أسسها في إتفاق القاهرة، كان الجيش ضعيفاً جداً كقوة عسكرية وكانت منظمة التحرير قوية جداً. وفي تناولها مسألة محاربة الإسرائيليين، كانت منظمة التحرير الفلسطينية تدوس بحوافرها على الجيش اللبناني وتضع تحت قدميها التعاون مع " مضيفيهم" اللبنانيين، مهما كان ذلك التعاون يسيراً. أما الشيعة الجنوبيين فكانوا ينالون النصيب الأسوأ من ذلك كله. فبالرغم من تعاطفهم مع منظمة التحرير الفلسطينية، ، فإن تعاطفهم كان له حدوداً براغماتياً. وفي آذار عام 1974، وصل الشيعة الى تلك الحدود.

بداية في العام 1970، بدأ رجال حرب العصابات بإنتهاك بنود إتفاق القاهرة بشكل لا أخلاقي وذلك بمد سيطرتهم العسكرية على مناطق خارج حدود مخيماتهم تماماً. " أصبح عرض السلاح في تجمعات عامة حدثاً شائعاً؛ وكذلك كانت نقاط تفتيش المارة على أطراف المخيمات." هذا العرض العسكري المسلح إنتشر الى مناطق بعيدة تماماً عن " الخط الأمامي" للمواجهة مع إسرائيل. فبالنسبة للبنانيين، لم يكن هناك حاجة لهذا الأمر وهذا جعلهم يعيدون النظر في إستضافتهم لمنظمة التحرير الفلسطينية. " إن إستعراض الوجود العسكري الفلسطيني في مناطق مدنية، بعيداً عن جبهة المعركة مع إسرائيل، إعتبر بمثابة عمل تحدٍ لا غاية له غير إرعاب السكان المدنيين. هذا الموقف لم

يكن يتقاسمه المسيحيون فيما بينهم فحسب بل أيضاً الشيعة والدروز، تحديداً في الجنوب، حيث تحمل القرويون العبء الرئيس للمواجهات الفلسطينية - الإسرائيلية.

وصل الوضع الى ذروته، وعلامة ذلك خطاب مميز للإمام موسى الصدر في بعلبك، لبنان، في 17 آذار 1974، موضع معقل حزب الله مستقبلاً في سهل البقاع. فخطابه لخص مأزق الشيعة العصيب : لا حماية من الإسرائيليين، لا حماية من منظمة التحرير الفلسطينية، ولا دعم من الحكومة اللبنانية. وقد حاول الصدر، بدايةً، العمل ضمن النظام مستخدماً المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى لكن من دون طائل.

**كان إهمال الحكومة واضحاً وجلياً، وكان الشيوعيون والبعثيون يضعون سدادة على حالة الإحباط والغضب لدى المجتمع الشيعي، ولم تسفر جهوده ( موسى الصدر) الأولى الأكثر ضبطاً للنفس عن نجاح كبير ملموس. لقد كان وضع اللحظة مُستحوذاً عليه جداً من خلال تساؤله الخطابي : " ماذا تتوقع الحكومة؟ ماذا تتوقع عدا الغضب الشديد والثورة؟" كان هذا الكلام في حشد آذار والذي أعلن فيه الإمام موسى الصدر عن إطلاق حركته الشعبية الضخمة، حركة المحرومين. فمع الإعلان عن حركته أكد الصدر على النضال حتى تنكب الحكومة، بشكل مرضٍ، على معالجة الحاجات الأمنية والظلم الإجتماعي الواقع على المحرومين – الذين هم الشيعة في الواقع.** Norton, (Amal and the Shi a: Struggle for the soul of Lebanon, 47.)

فالخيار الأخير كان لتشكيل حركة ضخمة، وعسكرية إذا ما دعت الضرورة.

رغم كونه رجلاً مسالماً بشكل مؤكد، فإن بداية الحرب الأهلية اللبنانية بعد عام من ذلك، أي في العام 1975، تخطت أية تحفظات إيديولوجية قد تكون لدى الصدر بشأن الضرورة العملانية لوجود ميليشيا لحماية سكان الجنوب. فالتحالفات الفئوية المعقدة للكتل المتحاربة المختلفة خلال الحرب الأهلية شهدت أمل تأخذ دوراً ثانوياً نسبياً في كل من الدعم المعدود والعمل العسكري. أما المساهمة الرئيسة للصدر فكانت إيقاظ الشيعة بـ " التحرك السياسي للمتدينين أمثاله" وخفض سلطة النخب الشيعية التقليدية غير الفعالة – " الزعماء." " إنه يؤكد صحة الكلام المكرر بأن الإمام موسى الصدر قاد، فقط، قسماً من مساعديه المتدينيين المنسوبين إليه سياسياً. لقد كانت الأحزاب والميليشيات المتعددة الطوائف هي التي إجتذبت أغلبية المجندين الشيعة، وكان عدد من الشيعة الذين حملوا السلاح تحت راية تلك الأحزاب والميليشيات أكبر من عدد الذين حملوه تحت راية أمل. وقد عانى الشيعة، في الحرب كما في السلم، بشكل متفاوت ومتباين؛ فقد سقط للشيعة ضحايا في الحرب الأهلية أكثر مما سقط لأية طائفة أخرى في لبنان، وبمقدار كبير.

**من دون شك، كان التطور الأهم في لبنان خلال الثمانينات هو بروز مجتمع شيعي إصراري، مسيس، لكن ممزق.** (Esposito, Islam: Te Straight Path, 186. )

رغم أن أمل كانت لاعباً ثانوياً خلال الحرب الأهلية، فإن موسى الصدر عمل على شحن الشيعة وتنشيطهم سياسياً. ثلاث أحداث أخرى هي فقط ما كان سيسرع ويحرك المجتمع الشيعي حتماً: (1) عملية الليطاني لجيش الدفاع الإسرائيلي في آذار 1978، إختفاء / إغتيال موسى الصدر في ليبيا في آب 1978 و (3) الثورة الإسلامية الإيرانية في كانون الثاني 1979. لقد كان الغزو الإسرائيلي لجنوب لبنان في العام 1978 تحت عنوان عملية الليطاني، في جزئه الأكبر، نجاحاً تكتيكياً وإستراتيجياً. وناضلت حركة أمل لتدمير قدرة منظمة التحرير الفلسطينية على العمل في جنوب لبنان عن طريق دق إسفين بين فدائيي منظمة التحرير المستائين بشكل متزايد وبين الشيعة المجني عليهم محلياً. وقد أثارت ديناميكية الحرمان والغربة، السياسية بالنسبة للشيعة والجغرافية بالنسبة للفلسطينيين، قيام تحالف طبيعي مبدئي. في كل الأحوال، فإنه في الوقت الذي تنامت فيه قوة منظمة التحرير الفلسطينية داخل لبنان، كذلك تنامى فسادهماوتأثيرها السلبي على مضيفيها الشيعة. فبحلول عام 1978، كان قد نفد أي نوع من التعاطف يمكن أن يكون قد شعر به الشيعة تجاه منظمة التحرير وأصبحوا أعداء لمنظمة التحرير الفلسطينية. أما المجموعة التي كانت ستأخذ على عاتقها هذه المقاومة فكانت أمل المنبعثة الى الحياة. ففي مجهود لـ **"حماية عائلاتهم، بيوتهم وقراهم، قام كثيرون إما بالإنضمام الى حركة أمل وإما بدعمها بقوة."** (Norton, Al and the Shia: Struggle for the Soul of Lebanon, 51)

إن إختفاء موسى الصدر رفعه الى منزلة الشهيد الوطني سابغاً بذلك صفة الحق الإلهي على حركته وعلى الفعالية السياسية الشيعية. ففي تحقيقه شهرة عظيمة في مسألة " الإختفاء"، رفع الصدر من شعبية أمل وقدمها على أنها الحزب السياسي الشيعي الشرعي في لبنان.

أخيراً، بينت ثورة 1979 في إيران على أنها المثال السياسي الأعظم لما يمكن للفعالية السياسية الشيعية ان تنجزه. فبالنسبة لأي شيعي لبناني متمترس مدافع فإن "خلع الشاه في كانون الثاني 1979، عمل كمثال هام ، مثبتاً ما يمكن لأمة تقية، محفزة وجيدة التنظيم ( المجتمع الإسلامي) أن تنجزه في وجه الظلم والإضطهاد. علاوة على ذلك، فإن وجود نظام جديد في طهران كان واعداً كمصدر هام للدعم السياسي والمادي. " (Ibid., 58. " إن مشكلة " الإقتداء" هي تحد واقعي جداً حالياً يواجهه حزب الله. فبينما يقدر الشيعة اللبنانيون الخطوات السياسية الواسعة والسريعة التي حققتها الثورة للشيعة الإيرانيين، فإن الشيعة اللبنانيين هم، رغم كل شيئ، لبنانيون، ويرغبون أيضاً ، إنسجاماً مع أمنية الحصول على حق تعبير سياسي أعلى، بالإستمرار بالعيش في المجتمع اللبناني الأكثر إنفتاحاً بكثير. أما التحول المطلوب للتكيف مع هذه الرغبات اللبنانية الفريدة التي حدثت ضمن حزب الله، كما سيُناقش لاحقاً، فهي وجوب تطور حزب الله من مجموعة مقاومة ثورية الى حزب سياسي كما هو سائد ما يمكّن الحصول على مكاسب سياسية شيعية والإصلاح من الداخل. قد تكون مسألة الإطاحة بالنظام نجحت في إيران، لكنها غير مناسبة للنظام اللبناني.)

هذه الأحداث الثلاثة ليست نهاية القصة - إنها فقط نهاية البداية وتشرح الكيفية التي بإمكان بيئة سياسية شيعية لبنانية أن تأخذ شكلها بطريقة تجعلها متقبلة ومتلقية لرسالة ثورية إسلامية. إن الخط الإفتراضي المحدد الذي يميز بداية حزب الله يشير الى العام

1982. فالإسرائيليون يعيدون غزو الجنوب اللبناني في العام 1982، تحت عنوان " عملية سلام الجليل"، في مجهود ناجح لطرد منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان بشكل دائم. في كل الأحوال، وبالرغم من هذا النجاح التكتيكي، فإن جيش الدفاع الإسرائيلي قد إرتكب خطأ إستراتيجياً فادحاً. **" ففي غضون أشهر من الغزو الإسرائيلي في حزيران 1982، وعندما أصبح واضحاً بأن لا نية لدى إسرائيل بفك الإرتباط عن لبنان قريباً، بدأت مروحة من المجموعات على إمتداد الطيف السياسي بتنظيم هجمات ضد قوات الإحتلال الإسرائيلية."** (Norton, Hizbollah, 80, 187. )

إن عودة دخول " قوة محتلة" الى داخل لبنان الى ما لا نهاية غيَّر الصورة المستحسنة لوجود الجيش الإسرائيلي، التي كانت موجودة سابقاً في أوساط الشيعة المنزعجين من منظمة التحرير الفلسطينية. إذ من المهم الإشارة الى أن غزو 1982 قدم أهم فرصة سياسية - السبب الجذري - لتشكل حزب الله. إن أهمية أحداث السبعينات الثلاثة هي أنها **حرَّكت الشيعة سياسياً بالكامل** محولة إياهم الى أرض خصبة مناسبة للإنتساب الى حركة. وقد ضرب حزب الله جذوره في هذه الأرض الخصبة بإعلانه وترويجه لرسالة مقاومة وثورة إسلامية راديكالية. ورغم أن تصرفهم ونمطهم كان راديكالياً، بالنسبة لجماهير الشيعة المحبطين، فإن رسالة حزب الله المتفجرة ضربت الصميم الشعبي بأسلوب عصري رنان متردد الأصداء. فحركتهم السابقة أمل الحاملة للواء العلمانية، " السائد" **( والفاسدة من وجهة نظرهم)**، لم يعد بإمكانها الإستمرار (Norton, Hizbollah, 45).

## 3. حزب الله: تأطير تطور الأصولية الإسلامية بإستخدام نظرية الحركة الإجتماعية

### أ. مقدمة

هذا الفصل يحلل العوامل التاريخية المسؤولة عن تشكل ودعم مجموعة حزب الله الإسلامية مستفيداً من المكونات الثلاث لنظرية الحركة الإجتماعية الحديثة (SMT): الخيار السياسي ، تحرك الموارد والعملية التأطيرية. إن تشكل حزب الله كمجموعة مقاومة وكمنظمة إجتماعية وقدرتها على الإستمرار ناشئ، مباشرة، من قدرته على إستغلال تلاقي عوامل تاريخية كما سبق وشرحنا في الفصل الثاني، متحدة مع وضعية

مقاومة حزب الله ضد الغزو والمضايقات العسكرية الإسرائيلية المتكررة داخل الأراضي اللبنانية ( غارات وهجمات). إن التاريخ السياسي المضطرب للبنان بظل " الميثاق الوطني" للعام 1943، المؤسِّس للتقسيم الطائفي للسلطة السياسية، جعل الشيعة اللبنانيون يتوحدون بقوة في " ترتيب ثالث" سياسي وإجتماعي محروم خلف المسيحيين (الموارنة) والمسلمين السُنة، على التوالي. إن نتيجة إتفاق القرن العشرين هذا ما كان إلا ليشكل ظلماً إضافياً بما يتعلق بالنزاع على السلطة الذي يعود الى ما قبل القرن التاسع عشر. هذا الوضع المأزوم من عدم المساواة السياسي والإقتصادي ما كان منه إلا أن يبين عن نفسه ويحض على الحروب الأهلية كما حدث في العام 1958 ومن العام 1975 حتى 1989. (Jabar, Hezbollah; Born with a Vengeance, 219. )

بلغ القهر السياسي والإجتماعي للشيعة اللبنانين ذروته ليشكل " إطاراً" سيكولوجياً تردد صداه بقوة، والذي تمكن حزب الله من بناء أسس الدعم عليه. إن التأثير البرهاني وجهود تصدير الثورة الإيرانية مقترنة بسوء الحسابات والتقديرات التاريخية من قبل الحكومات اللبنانية والإسرائيلية وفر سياق الفرصة لإنشاء منظمة وحركة إجتماعية. أخيراً، إن الموارد الممَكِّنة لـ " عملية التأطير" و " الخيار السياسي" قد تم توفيرها من قبل فاعلين إقليميين متعاطفين – سوريا وإيران، وحكومة شيعة الجنوب اللبناني وسهل البقاع المتحركة حديثاً ( وبالكامل).

إن تطور حزب الله نحو الإعتدال أمر ظاهر تحت العدسة التحليلية لنظرية الحركة الإجتماعية. فتطور حزب الله نتج عن متغيرات حصلت خلال الزمن في "عملية التأطير"، " الخيار السياسي"، و" توفر الموارد" ( أو" تحرك الموارد" ). هذه المراحل بالكاد تنقسم الى أربع فترات زمنية متباعدة متمايزة رسم خطوطها الكبرى داخل المجتمع " الإطار" الرنان ذي الصدى، توفر " الخيار السياسي" و "الموارد." فالمرحلة الأولى هي مرحلة ما قبل ولادة التحرك الشيعي الأول بظل الإمام السيد موسى الصدر حيث كان " الإطار" الرنان المردد للصدى رفضاً للخمود السياسي مُسهَّلاً بـ "الخيار" لإحتضان تحرك سياسي ضمن النظام اللبناني. أما المرحلة الثانية فهي المرحلة الجنينية، متجسدة بـ " الخيارات" - بعضها سياسي، وبعضها إيديولوجي – قدمتها منظمة أمل، الحرب الأهلية اللبنانية والثورة الإيرانية. أما المرحلة الثالثة لتطور حزب الله وأشدها جرأة وهجومية فهي مرحلة البروز، مسهلة بـ "الخيار" الذي وفره الغزو الإسرائيلي عام 1982 و " تحرك الموارد" الوفير المقدم، حديثاً، من النظام الثوري الإسلامي الإيراني. أخيراً، المرحلة الحالية، أي الإندماج في الحياة السياسية اللبنانية السائدة، وتتألف من عملية إعادة التوضيب ذات الصلة لعناصر نظرية الحركة الإجتماعية (SMT) الثلاث جميعاً. فـ " الإطار" مقاومة إسلامية ذات صلة. " الخيار" مشاركة في حكومة مؤسساتية، و" الموارد" مساهمة الهبات الإيرانية ( والسورية) السخية، الدعم المحلي، والزخم التنظيمي والسياسي.

ذ

## ظرية الحركة الإجتماعية ومبدأ الفعالية الإسلامية

وصفت نظرية الحركة الإجتماعية الأولى (SMT)، أو " الجيل الأول " للـ SMT، (Quintan Wiktorowicz, " مقدمة: الفعالية الإسلامية ونظرية الحركة الإجتماعية، *في الفعالية الإسلامية: مقاربة نظرية الحركة الإجتماعية*، المؤلف Quintan Wikotorowicz ، 6 – بلومينغتون، IN، مطبوعات جامعة إنديانا، 2004 ) الدعم المقدم للأصولية الإسلامية على أنه نتيجة مباشرة لمدرسة الفكر " الإجتماعي- السيكولوجي" ولاحقاً، لـ " نظرية تحرك الموارد" (RMT). لقد كانت كلتا طريقتي الدراسة دقيقتين الى حد ما بالنسبة للموضوع، لكنهما قصرتا في شرح الصورة الكاملة من حيث سبب بروز الفعالية النضالية الإسلامية ( من كل الأنواع).

لقد إفترض الجيل الأول من نظرية الحركة الإجتماعية، المتجذرة في مبدأ "الوظائفية"، وجود علاقة خطية مستقيمة ذات بعد واحد بين المشاكل الناشئة في المجتمع والتحرك الإجتماعي رداً على تلك المشاكل.

إتجهت المدرسة الإجتماعية – السيكولوجية نحو المبالغة في تبسيط الآليات السببية للفعالية النضالية الإسلامية الى مجموعتين ثانويتين. المجموعة الأولى عبارة عن حركات إجتماعية مستمدة من **" إجهاد بنيوي". فـ "الحافز المحدد لمبدأ الفعالية النضالية ينشأ من الأزمات البنيوية الناتجة عن فشل مشاريع التحديث العلمانية."** ( Witorowicz, "مقدمة: الفعالية الإسلامية ونظرية الحركة الإجتماعية، 6") أما العامل الثاني فكان " إمبريالية ثقافية" لثقافة غربية ملحوظة ضد ثقافة إسلامية في حقبة ما بعد الإستعمار للمنطقة. **" إتجهت التحولات الإجتماعية – الإقتصادية السريعة الى تركيز الثروة في أوساط النخبة الغربية، برجوازيي الدولة، ومسؤولي الدولة الفاسدين، في الوقت الذي ولدت فيه، وبشكل متزامن، تأثيرات جانبية سلبية أثرت على شرائح كبيرة من السكان. ... فشعور الضيق الإقتصادي العام كان مركباً من الإقصاء عن السلطة السياسية، المحتكرة من قبل زمرة نخبوية صغيرة بدت أنها تناصر وتتبنى فكرة نظام نفعي دخيل مناقض."**( Ibid.,7. ). لقد أثبتت التفسيرات الإجتماعية – السيكولوجية للإجهاد المجتمعي والنقمة بأنها عوامل سببية ضرورية لكنها ليست كافية لمبدأ الفعالية الإسلامية. **" لاقت المقاربة الإجتماعية – السيكولوجية الأولى لدراسة الحركات الإجتماعية نقداً حاداً بسبب صيغتها التبسيطية المفرطة للعلاقة المتصلبة بين الإجهاد البنيوي وجدال الحركة، نقد قابل للتطبيق بشكل مساو على مقاربات مشابهة في دراسة مبدأ الفعالية الإسلامية."** (Ibid., 8)

إن التناقض أو العيب في النظرية الإجتماعية – السيكولوجية هي في كونها أن **"الحركات الإجتماعية لا تنسجم وتتماشى مع منطق الحركة – الإجهاد المزدوج."** (Ibid., 9.) بمعنى آخر، إن إستخلاصاً لإستنتاج سببي مباشر بين ظلم حاصل في المجتمع وإنشاء حركة إجتماعية للإنكباب على معالجة ذلك الظلم هو نموذج تحليلي

مبسط جداً. فالعملية التحليلية بحاجة الى دقة أكبر والجواب كان إستخدام " نظرية تحرك الموارد ( RMT)".

**"تعتبر نظرية تحرك الموارد ( RMT) الحركات على أنها مظاهر منظمة منطقية لعمل جماعي،"**( Wiktorowicz, " مقدمة: الفعالية الإسلامية ونظرية الحركة الإجتماعية." 10) وهو تماماً ما عمل حزب الله على تجسيده في زمن الإضطرابات من العام 1982 - 1985. لقد ملأت نظرية الـ RMT الفجوة في تفصيل نظرية إجتماعية – سيكولوجية بتحليل وضم **" مصادر وبنيات محركة، كمنظمات الحركات الإجتماعية الرسمية (SMOs). فهناك حاجة لهذه المنظمات لتنظيم شكاوى نابعة من الشعور الظلم وفق المبادئ الجماعية كانت لتبقى، خلاف ذلك، شكاوى فردية."**

بالنسبة لحزب الله، وفر المسجد والخدمات الإجتماعية آليات الـ SMO الناقلة الضرورية لإيصال رسائله. **"إن المنظمات الإسلامية غير الحكومية تشكل مجموعة أخرى من منظمات متوسطة المستوى مستخدمة بشكل واسع. فالمنظمات الإسلامية غير الحكومية ، كالعيادات الطبية، المستشفيات، الجمعيات الخيرية، المراكز الثقافية والمدارس، كلها توفر بضاعة وخدمات أساسية لتبرهن بأن *الإسلام هو الحل* للمشاكل اليومية في المجتمعات الإسلامية."** ( Ibid., 11). وكما يعبر هذا المقتطف ضمنياً، فقد تدخل حزب الله، بدلاً من حكومة لبنانية مركزية ضعيفة، وقدم كل الخدمات المذكورة آنفاً وكان قادراً على **" إظهار وجه شعبي صديق"**( Ibid.) في وسط يُروَّج فيه للرسالة الإسلامية من دون مجافاة حكومة لبنان الطائفية المتنوعة. لقد عمل حزب الله كـ " كجماعة - مظلة" صهرت، ببراعة وحذاقة، المجتمع المدني الموجود ومؤسسات الخدمات ( والميليشيا) تحت " سقف" واحد أو بظل منظمة موحدة. لقد أدخل حزب الله الموارد ، بالتزامن وبشكل موحد، مع الإيديولجية لتعزيز هذه المؤسسات الموجودة قبلاً لكن الضعيفة.

على سبيل المثال، لقد أسس حزب الله مستشفى بهمن لخدمة مناطق بيروت الغربية الفقيرة والعشوائية. فمن خلال الإستفادة من التمويل الكثيف من إيران، يتم تقديم الرعاية الصحية الزهيدة الثمن للعامة – البعض يقدر قيمة الدعم المالي لحزب الله وصولاً الى 100 مليون دولار سنوياً. إن مقابلة جوديث هاريك مع إمرأة شيعية شابة برهان على إستراتيجية العلاقات العامة / الخدمات الإجتماعية لحزب الله،

**كنت متفاجئة عنما عبَّرت إمرأة شيعية شابة أعرفها عن إستياءها من المستشفى. عندما سُئلتْ عن التفاصيل، قالت بأن والدها نال عناية طبية ممتازة هناك، لكنها كانت مستاءة هي وأختها من حقيقة عدم السماح لهما بمرافقته الى داخل المرفق وهذا عائد الى أنهما لم تكونا ترتديان الحجاب المطلوب وفق الزي الإسلامي. هذه النادرة تبين نوع الأشياء التي تعزل وتجافي بعض أفراد المجتمع الشيعي الذين هم أكثر توجهاً للعلمانية والذين يجدون حزب الله مستقيماً جداً، يضيق الخناق على أذواقهم وأساليب حياتهم. من جهة أخرى، يُلقي هذا الأمر الضوء على كيفية تلبية الحاجات المادية ما**

**يجعل الناس يتجاوزون عن مشاعر من هذا النوع ويشجعون الولاء السياسي رغم كل شيئ."** ( Gudith Palmer Harik ، حزب الله: الوجه المتغير للإرهاب، 84)

فبتوظيفه إستراتيجية " الخدمات الإجتماعية"، فإن حزب الله قادر على **" تقديم مثال صلب ومرئي لِم يمكن للإسلام أن يقدمه، في عملية تمييز بالتضاد مع إخفاقات التحديث العلماني للدولة."** ( Wiktorowicz، مقدمة: الفعالية الإسلامية ونظرية الحركة الإجتماعية، 10- 11)

أخيراً، إن المكون الأخير للـ SMT حديث هي "عملية التأطير." فـ "عملية التأطير" هي التي من خلالها يكون الظلم، الموارد، والعمل مرتبطين ببعضهم البعض. إنه "الغِراء" الذي يعطي الحركة الإجتماعية " شيئاً " ملموساً ذي صدى تعتمد عليه. يمكن لهذا الأمر أن يكون شعاراً، قضية اليوم، أو مجرد شعور شعبي في المجتمع. وهناك ثلاث " مهمات" يجب إنجازها للحصول على عملية تأطير فعالة.

**أولاً، يجب أن تبني الحركات أطراً تشخِّص وتحلل ظرفاً أو مشكلة بحاجة للتقويم والإصلاح. هذا يتضمن رموز المسؤولية والمستهدفين باللوم. ثانياً، تقدم الحركات حلولاً للمشكلة، بما في ذلك تكتيكات وإستراتيجيات معينة ومحددة القصد منها العمل كعلاج لتحسين وتصحيح وضع الظلم والإضطهاد. وثالثاً، توفرالحركات منطقاً عقلانياً لتحفيز الدعم والعمل الجماعي. إن الأطر التحفيزية ضرورية لإقناع مشاركين محتملين للإنخراط فعلياً في الفعالية النضالية، محولة بذلك عامة الناس الواقفين جانباً الى مشاركين في الحركة.** ( Ibid., 16 )

إستغل حزب الله عملية التأطير الثقافي، كما تفعل حركات أصولية إسلامية أخرى، وذلك بتأطير الحركة على أنها نضال حول معنى وقيم. لقد إستخدم حزب الله " المعنى" و " القيم" كـ " ضربة مزدوجة" يوصل من خلالها رسالته. فـ " القيمة" كانت الإسلام و" المعنى" كان مقاومة إسرائيل.

ببنائهم على نجاح الثورة الإيرانية، سعى مؤسسو حزب الله الأوائل الى إحراز مكون" القيم" بالبناء على إطار " الإسلام هو الحل".

**إن أهم مكون لمعظم الأطر التشخيصية للحركة الإسلامية هو إلقاء اللوم حول مروحة واسعة من العلل والأمراض الإجتماعية على إنتشار القيم والممارسات الغربية.، بما في ذلك البطالة المرتفعة، التطور الإقتصادى الراكد، الديْن المرتفع، عدم كفاية السكن، الإنفاق المتضاءل على الضمان الإجتماعي، الى ما هنالك. إن الجدل المطروح هو أن الممر الحقيقي للتطور والنجاح محدد بنجاح الإسلام. وطالما أن المسلمين يتبعون " الطريق المستقيم"، فإنهم سيُجازوْن على إيمانهم.** (Wiktorowicz ، مقدمة: الفعالية الإسلامية ونظرية الحركة الإجتماعية، 16 – 17.)

وبالترادف مع الشرعية المستمدة من لف أنفسهم بعباءة القيم الإسلامية الشيعية في " عصرها الذهبي"، بإمكان رسالة المقاومة أن تجد صدى لها بمشروعية مساوية ذات صلة. فتأطير المقاومة على أنها العمل الإسلامي الواجب فعله، يجعل مقاومة إسرائيل تحتل مرحلة مركزية بصفتها القضية رقم 1. فالمقاومة تصبح جزءاً لا يتجزأ من نضال أكبر لا حد زمني له لأجل العدالة الدينية – السياسية الشيعية.

## ب. أصول " عملية التأطير" لحزب الله

إذا كان الإسلام هو ما سيكون الحل بالنسبة لشيعة جنوب لبنان، سهل البقاع وأحياء بيوت الفقيرة المحرومون، فكيف قام حزب الله بتسويق شعار الفعالية الأصولية الإسلامية المحدد الخاص به؟ لدرس هذا الأمر، من الضروري أولاً مراجعة جذور حزب الله مرة أخرى ليس فقط من خلال المنظور التاريخي كما فعلنا في الفصل الثاني، إنما بإستخدامنا، الآن، عدسة الـ SMT التحليلية بشكل خاص. إن المرحلة الأولى من التحليل تتمحور حول حزب أمل الشيعي العلماني ومقاومته للهيمنة الفلسطينية.

في الستينات، تهجَّر عدد أكبر من الفلسطينيين من إسرائيل بسبب حرب 1976، وإحتشدوا في جنوب لبنان، ثم إتخذوه ملجأ لهم. هذا التدفق السكاني أرهق البنية التحتية الشيعية الريفية واللامتطورة للمنطقة أصلاً.

في البدء، كان الشيعة متعاطفون مع قضية الفلسطينيين، حيث أن أفراد كلتا الطبقتين كانوا من **" المجموعات المحرومة والمضطهدة".** (Norton, Hezbollah, 15.)
في كل الأحوال، وبمرور الزمن، أدت تأثيرات متراكمة الى تحول الرأي العام الشيعي ضد الفلسطينيين ومنظمة التحرير الفلسطينية. هذه العوامل كانت: (1) النشاطات السلطوية لدولة منظمة التحرير الفلسطينية ضمن الدولة ضد سكان جنوب لبنان الشيعة. ( أتهم مسؤولو المنظمة بالإغتصاب، السرقة، والإبتزاز)، ( Jabar,Hezbollah: Born with a Vengeance,14 )، (2) كونهم عالقين بإستمرار في تقاطع النيران بسبب القتال عبر الحدود بين منظمة التحرير الفلسطينية والإسرائيليين و (3)، مشاعر السأم والإرهاق العام من جراء الحرب الأهلية اللبنانية الوحشية. بالواقع، ولأن المصالح السياسية لمنظمة التحرير والشيعة اللبنانيين كانت متراصفة لفترة من الزمن خلال الحرب الأهلية فإنه **" ما أن إندلعت الحرب الأهلية الطرية العود في العام 1975، حتى أصبح الشيعة وقود الحرب بالنسبة للفدائيين. بالواقع، لقد مات من الشيعة في الحرب أكثر من أية طائفة أو فئة أخرى.** " (Norton, Hezbollah,17) كل هذه العوامل شكلت ضريبة كارثية على قدرة الإحتمال والجلد للسكان الشيعة المحاصرين. **" مقابل هذه الخلفية، قام المسلمون الشيعة اللبنانيون بتحريك جهودهم االسياسية."** ( Ibid., 14)

في العام 1969 تم إستحضار" خيار سياسي" محدَّد وإتحادي، مع تأسس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى برئاسة السيد موسى الصدر. إن االتضمين والشمول الرسمي للمجلس بصفته الهيئة التمثيلية الإسلامية الشيعية داخل الحكومة اللبنانية أعطى الصدر قدرة بارزة وهامة لجهة حق التعبير بالنسبة لشيعة لبنان. فالصدر، المعروف أيضاً بالإمام موسى، هو رجل دين شيعي إيراني المولد من سلالة لبنانية محترمة بشكل كبير وكان قد أسس الجناح العسكري لحركة الإصلاح الشيعية البارزة في ذلك الحين : " حركة المحرومين". أما القسم العسكري الذي أنشأه فكان يدعى " أفواج المقاومة اللبنانية" التي عند تلخيصها بالأحرف الأولى تُلفظ " أمل". إن أمل القيادية، وتحديداً برئاسته، كانت نجمة الصدر الوردية السياسية. في النهاية، أصبح الصدر يمثل تهديداً لنخبة المشهد السياسي اللبناني من الشيعة المتحصنين ( والفاسدين)، وترك إرثاً من الفعالية النضالية الشيعية اليقظة. كان إيمانه هو أن الشيعة " لم يكونوا ليتقبلوا حرمانهم ويسلموا به على أنه قضاء وقدر؛ كان يعتقد بأنه طالما أن بإمكان رفاقه الشيعة التعبير من خلال دينهم فإن بإمكانهم تخطي ظرفهم." (Norton, Hezbollah, 18.)

كان هدف الإمام موسى ، عندما إنتقل الى لبنان في الخمسينات، أن يصبح " القائد الأسمى والأعلى للمجتمع الشيعي." وللوصول الى هذه الغاية، كان عمله الهام الأول تأسيس معهد مهني في بلدة لبنانية جنوبية. وبذلك، كان الصدر قادراً على " تأطير" حركته الإجتماعية الحديثة الولادة بالدين، إضافة الفعالية المالية لـ " الخيار السياسي" المعطى له من قبل المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى وتحريك " الموارد" لبناء مؤسسات كالمعهد المهني. جميع هذه المكونات قوَّت أمل، التي كانت أقصى فلسفتها السياسية تدور حول عقيدة " العلمانية ( بالنسبة للحكومة)، التحرير، العقيدة الإسلامية، وعقيدة الإصلاح – التي غالباً ما صيغت في قالب المطالبة بإمكانية للحصول على إمتياز سياسي أكبر وسحق الفساد. في كل الأحوال، من المهم الإشارة الى أنه بالرغم من أن الجو السياسي للبنان إستمر بالتدحرج الى حد فرضت فيه الميليشيات والعنف ضغوطاً فعالة، أكثر فأكثر، على النظام السياسي اللبناني، فقد فضل الصدر إستخدام أمل وصوته في المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى للعمل "ضمن النظام." ورغم أنه كافح بالفعل للحصول على سلطة أكبر في الحكومة، فإن الصدر لم يكن مناصراً لفكرة الإطاحة التامة بالنظام وإعادة ولادة الدولة كجمهورية إسلامية. إذ من الواضح من ورقة عمل أيار 1977 التي خطها المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بأن الصدر كان يؤمن حقاً بالمحافظة على التنوع الطائفي المتعدد للدولة اللبنانية. وبطريقة مماثلة، فإن الوثيقة الصادرة عن أمل، " تضع أمامها فكرة تقول بأن لبنان حصيلة " بوتقة التسامح والإنصهار الوطني".

في العام 1978، إختفى الإمام موسى بشكل غامض في رحلة له عندما كان في ليبيا. لقد رسخ موته ( المفترض) بقوة إرثه كقائد ناشط في أوساط كتلة رئيسة من الشيعة اللبنانيين مع إنعطافة في قلة الإحترام الروحي؛ فـ " إختفاؤه" ( المرجح غالباً على أنه إغتيال من قبل الحكومة الليبية لصالح نخب متخندقة ومتحصنة في لبنان)، تطابق مع الأسطورة الشيعية عن " الإمام المختفي". فإختفاء الصدر نقش حروف الفعالية النضالية

الشيعية بشكل دائم داخل المشهد السياسي اللبناني. ومن هذه اللحظة الزمنية المحددة فصاعداً، تحول موسى الصدر ليصبح أب " الإطار" الرسمي الأول للحركة الإجتماعية الشيعية اللبنانية بحيث أن" أطراً" عديدة لاحقة ستصبح حركة أصولية إسلامية : حزب الله.

إن نشوء وتطور حزب الله من داخل أمل ينسجم ويتطابق بدقة وإتقان مع نظرية الـ SMT الحديثة التي تفترض،

**أن الخلافات المتواترة وتأطير التنافس حول معنى يشجع الضغوط التنافسية بما أن المجموعات المختلفة تنتج وتنشر نموذجاً مفترضاً على أنه حقيقة للتجاوب معه... إن منافسة كهذه تأخذ مكانها ضمن الحركة نفسها . ... فإنقسامات الحركة الداخلية (كالخط المتشدد والخط الناعم، المحافظ والليبرالي، القديم والشاب، الإيديولوجي والبراغماتي) بإمكانها أن تخلق جدالات تأطيرية داخلية بما أن كل فئة تحاول تأكيد إطارها الخاص بها للحصول على تبني واسع من الحركة له.** (Wiktorowicz، " مقدمة: الفعالية الإسامية ونظرية الحركة الإجتماعية،" 17)

هذا بالتحديد ما حدث في أمل بمرور الزمن. ففي نهاية الحرب الأهلية اللبنانية، غيَّرت أمل مسارها من كونها حركة **" ديناميكية وتقدمية، أسسها الصدر الى واحدة ذات " نظام حماية كامل مع وجود كل الفساد، عدم الكفاءة، وعدم المساواة التي كانت أمل تحاربها بالأصل."** ( Norton, Hezbollah, 23.) وبذلك، أصبحت أمل شيئاً ثابتاً فاسداً من المشهد االسياسي نفسه الذي أملت بتغييره. هذا الواقع الجديد لم يجد صداه جيداً لدى جميع الأعضاء. فالتدحرج وصولاً للفساد، التحييد من قبل الدولة وإستيعاب أصحابها ضمن المجموعة والثقافة الموجودة، التبعية لسوريا (Marius Deeb ، " الحركات الشيعية في لبنان: تشكلها، إيديولوجيتها، أساسها الإجتماعي وروابطها مع إيران وسوريا"، 686.)، وأعمالاً أخرى غير شعبية، وفرت وقوداً إضافياً لنار النقمة الخامدة المتشكلة داخل بعض دوائر حركة أمل. كان الوقت قد أزف لتشكيل فرع للحركة. في كل الأحوال، وحتى هذه المرحلة، فإن"الخيار السياسي" لفعل شيئ حيال ذلك لم ينفع بحد ذاته.

## ج. " الخيار السياسي" أخيراً: الغزو الإسرائيلي للبنان

وفرت الإطاحة الناجحة بالشاه وتشكيل الجمهورية الإسلامية الإيرانية آلية التأطير الحاسمة التي بإمكان الراديكاليين الإسلاميين الشيعة اللبنانيين بناء إيديولوجية إضافية عليها. وعلى عكس هذه الخلفية، فإن قيادة حزب الله برزت أولاً كجمعية سرية، لكن بعد ذلك في منتصف الثمانينات، ومع موارد إيران ( وسوريا)، برزت لتتحدى أمل والآخرين. **"لقد شجعت الثورة الإيرانية نمو فعالية نضالية *إسلامية* وساعدت على تشكيل مجموعات مسلحة أصولية شيعية."**( Simon Haddad، أصول الدعم الشعبي لحزب الله لبنان، " *دراسات في الصراع والإرهاب*، 29). ووفقاً لنعيم قاسم، نائب الأمين العام لحزب الله، فإنه بعد إعلان النصر الرسمي تماماً ( في إيران ما بعد الثورة) وإعلان آية الله الخميني

قائداً للأمة الشيعية، بدأ حوار جاد مع مجتمع رجال الدين الشيعة في لبنان. هذه الحوارات تقود الى تأسيس خطوط دعم رسمية. ففي ذلك الحين في العام 1979، كانت خطوط الدعم هذه إيديولوجية بطبيعتها مع جهود مبذولة بمعظمها لخلق **" وسائل إرتباط مناسبة مع قيادة الثورة الإسلامية."** (Qassem، حزب الله، القصة من الداخل، 18)

أما ما هو مركزي بالنسبة لبروز الفعالية النضالية الشيعية بداية الثمانينات فهي المجموعة الصغيرة التي سرعان ما ستصبح قيادة حزب الله، التي درست الفقه الديني في النجف، العراق. ويطرح قاسم القضية بهذا الشكل فيقول أنه إذا كانت قم مكان الولادة الفكرية للثورة الإيرانية، عندها تكون النجف تقاطع الطرق الفكري – إن لم يكن مكان الولادة – حيث درس جميع القادة المستقبليين لحزب الله في مرحلة ما من حياتهم. أما النجوم الصاعدة الثلاثة الرئيسة لحزب الله في هذا الوقت فكانوا السيد عباس الموسوي، راغب حرب، والشيخ صبحي الطفيلي، ( Norton, Hezbollah, 34) وجميعهم ممن تابعوا الطريق ليرأسوا المنظمة في أوقات مختلفة.

ليس من المبالغة في شيئ القول بأن التأثيرات الإيديولوجية والمتماسكة للثورة الإيرانية بما يخص وجود " إطار رنان ذي صدى" قوي مع راديكاليين محفَّزين معينين داخل لبنان" شرط ضروري" حاسم حتماً لتشكل حزب الله. علاوة على ذلك، يحاجج Norton بقوله، **"... كان هناك فهم ضئيل للتطورات الجارية في أوساط مسلمي لبنان الشيعة ولم يتم القيام بتحليل عن تأثيرالغزو الإسرائيلي عليهم. فحتى لو لم تكن إسرائيل قد شنت غزوها على جنوب لبنان في العام 1982، فإن الشباب الراغبين في أن يكونوا ثواراً في أوساط الشيعة ما كانوا إلا ليواصلوا طريق الثورة الإسلامية المحاكي لإيران."** في كل الأحوال، **" بإحتلالها لبنان بدلاً من الإنسحاب المنفذ من دون تأخير، خلعت إسرائيل عنها ثوب الترحيب الدافئ بها ووفرت سياقاً لحزب الله كي ينمو."**

في 6 حزيران 1982، وعندما أطلقت إسرائيل هجماتها على لبنان، كان إثنان من قادة حزب الله المقبلين هما حرب والطفيلي، موجودين في المؤتمر الإسلامي السنوي المنعقد في طهران، إيران. **" لقد تطوعت إيران فوراً بمساعدة إخوتهم اللبنانيين وتم إرسال الحرس الثوري الإيراني بسرعة الى بعلبك في سهل البقاع."** ( Jaber, Hezbollah, Born WITH A Vengeance, 47.)

أخيراً، جاءت المكونات المطلوبة الضرورية لحركة إجتماعية أصولية إسلامية مع بعضها البعض: (1) الخيار السياسي المتولد من جراء الغزو الإسرائيلي، (2) إطار الصدى الصحيح الذي أنشأته الثورة الإسلامية و(3) قاعدة موارد كافية: التمويل الإيراني والمستشارون التقنيون في الحرس الثوري الإيراني. ولم يكن الإعلان " الرسمي" عن حزب الله كحركة سياسية وإجتماعية ليحدث إلا بعد 3 سنوات، لكن البذور التأسيسية كانت قد زرعت أخيراً في حزيران عام 1982. ومن قاعدتهم في سهل البقاع، " تحمل الحرس الثوري الإيراني المسؤولية عن أمن حزب الله وعمليات المقاومة. فمساندة إيران، مع وجود كتلة مركزية من الرجال المكرسين للعمل ( من الشيعة

اللبنانيين)، مكّنا حزب الله على مدى العامين التاليين من العمل سراً من قاعدته الأساسية، أي بعلبك في شرق سهل البقاع. لم تكن بعلبك تحت الإحتلال الإسرائيلي ووفرت للمجموعة والحرس الثوري الإيراني ملاذاً آمناً تعمل الحركة منها وتنظم شؤونها. كما أن بعلبك قريبة من سوريا، ما يعطي حزب الله حرية الحركة للسفر الى إيران. أما مقاتلو حزب الله فقد عملوا تحت شعار المقاومة الوطنية اللبنانية ولم يدَّعوا لأنفسهم فخر أي من العمليات الجديدة الجريئة التي كانت قد بدأت ليصنعوا تأثيراً ما لهم في أوساط الجنود الإسرائيليين."

مع مقاومة كاملة وناضجة للإحتلال الإسرائيلي ومع الدعم المادي من راعيها الإيراني، أصبحت مسألة تجنيد العاملين الأولوية رقم واحد بالنسبة للمنظمة. وقد أخذ رجال الدين في حزب الله هذه المهمة على عاتقهم وذلك بنشرهم إيديولوجية الثورة الإسلامية في أي مكان من أماكن التجمعات الكبيرة أمكنهم ذلك – المساجد، الجنائز، ومراكز المجتمع الشيعي ( حسينيات). فببنائهم على " الإطارالمنتصر" للإسلام، صوَّر رجال الدين المقاومة والتهجير الإسرائيلي على أنه إضطهاد ظالم؛ إطار ثانوي وجد صداه جيداً لدى الشيعة الناقمين على إمتداد لبنان.

## د. رعاية المؤيدين والمناصرين

رغم أن حزب الله كان هجومياً في إيديولوجيته وتكتيكاته العسكرية، فإن ذلك لم يُترجم نجاحاً مؤكداً ومضموناً. فالسنوات الأولى كانت متميزة بتراجعات. أما الدرس الهام الذي تعلمه حزب الله في السنوات الثلاث الأولى لتشكله فكان كيفية أن يكون داهية سياسياً وقراءة قاعدته المؤيدة الناخبة المحتملة. وبما أن منطق كينونتهم (حزب الله) كان " السلام هو الحل" و " لا شرق ولا غرب" ( في إشارة الى عدم تفضيلهم لا أسلوب الحياة الأميركي ولا السوفياتي)، فإنهم أسبغوا معايير سلوكية إسلامية صارمة في المناطق التي عملوا فيها وشيئاً فشيئاً تولوا زمام السيطرة في المناطق. هذا الأمر كان أكثر وضوحاً وجلاء في بيروت الغربية وبلدات الجنوب الساحلية. ومن العام 1983 وحتى 1986، وحيث أنهم كسبوا الأرض التي هم عليها، فقد تم تأسيس خدمات حزب الله الإجتماعية، وأكثرها لفتاً للإنتباه 17 عيادة طبية ومستشفيَيْن ( Nizar Hamzeh ، " حزب الله لبنان: من الثورة الإسلامية حتى التكيف البرلماني"، *فصلية العالم الثالث 14*، رقم 2 – 1993 – 329.). وفي حين حصلت الخدمات الإجتماعية حصلت بالفعل على الدعم من السكان، فقد عانى حزب الله من تراجعات في مسألة فرض معاييره الإدارية الإجتماعية.

في الوقت الذي إنتشر فيه نفوذ ووجود حزب الله العسكري الى خارج منطقة البقاع، وصولاً الى ضواحي بيروت الجنوبية وجنوب لبنان... بحلول نهاية عام 1983، أصبح الأمر الأكثر لحوظاً هو وجود قوة جديدة في البلد. مع ذلك، لم يكن هناك سوى قلة من اللبنانيين قد فهموا طبيعة تلك القوة، لكن لاحقاً في أوائل العام 1984، كانت بيروت الغربية تتحول الى مدينة كئيبة ومرعبة. فوجه العاصمة الذي كان مشهوراً ذات مرة

عالمياً (بالثقافة الواسعة المطلعة) كان يخضع لتحول سريع. فمع إستيلاء الشيعة على بيروت الغربية، أصبح رجال حزب الله ذوي اللحى الكثيفة مرئيين أكثر فأكثر في شوارع المدينة المُساء لها بشكل متكرر. إذ كانوا يضعون عصبات خضراء حول جبينهم تحمل كتابات من نوع " الله أكبر". وبالنسبة للنساء اللواتي إعتبرن بأنهن يرتدين لباساً بطريقة غيرلائقة ومحتشمة فغالباً ما كانت تتم مضايقتهن من قبل القادمين الراديكاليين الجدد. وكان يُرسل، أحياناً، للمحلات التي كانت تبيع الكحول تحذيراً بشكل بضع أصابع من الديناميت ترمى على أبوابها الأمامية. أما المطاعم الشعبية القليلة التي ظلت مفتوحة فقد علقت لافتات على مداخلها مكتوب فيها " مطعم عائلي فقط" موحية بأنها مبنى " يُحرِّم بيع وإستهلاك الخمور."

بحلول منتصف هام 1986 كان حزب الله قد بدأ بنأي نفسه عن الناس الذين كان بأمس الحاجة الى دعمهم: سكان جنوب لبنان. ... فهؤلاء كانوا غاضبين من أن عليهم تحمل عبء الأعمال الإنتقامية ( من قبل الإسرائيليين). كما كانوا ثائرين بفعل شعورهم بالإهانة بسبب التحول المتطرف الذي كان يجري في الجنوب من حيث مجيئه تحت تأثير الحالة القتالية الدينية لحزب الله. فبعد وصولها بوقت قصير الى الجنوب، حرَّمت المجموعة ( حزب الله) بيع الكحول في المحلات والمطاعم ومنعت إقامة حفلات الرقص والموسيقى العالية.

وبشكل يتعذر تفسيره، قام حزب الله أيضاً بإغلاق المقاهي. هذا الأمر كان له تأثير الحرمان على الرجال العجائز الذين إعتادوا إرتياد هذه المقاهي بشكل متواتر في أوقات بعد الظهر وأول المساء لتمضية أوقاتهم بلعبتي الورق وطاولة النرد البسيطتين. فالرمز الصارم للسلوك الإسلامي كان مفروضاً في البلدات والقرى جالباً معه تفسيرات متطرفة لما كان معتبراً سلوكاً مباحاً مقبولاً. ورغم أنه كان هناك ممن هم مسرورون للإنصياع لهذه الأنظمة والقيود الجديدة، فإن آخرين كثيرين رفضوها.

لقد خربت رموز الإدارة إقتصاديات الخدمات المحلية.

**لم تؤد قيود حزب الله المتشددة سوى الى عزل المنطقة والقيام بزعزعة أكبر للإقتصاد المتداعى أصلاً. وأصبحت ملاذات عطلة نهاية الأسبوع الشعبية على الساحل عبارة عن مدن أشباح. فاللبنانيون قاطعوا المطاعم وذهبوا بحثاً عن أماكن لا قيود فيها، حيث بالإمكان تقديم الكحول من دون خوف التعرض للمضايقات من قبل المسلحين الإسلاميين. فأماكن السباحة المختلطة تم حظرها ومُنعت النساء من إرتداء ثوب السباحة. فمدينة صور، التي طالما إفتخرت بإمتلاكها أحد أفضل إمتدادات الشاطئ البحري في لبنان، أمضت شهور صيف عديدة فارغة من الزبائن. فأولئك الذين أرادوا التمتع بفصل الصيف المشمس الطويل للبنان توقفوا، وببساطة، عن الذهاب الى الجنوب، في الوقت الذي سافر فيه سكان القرى الجنوبية شمالاً، الى الشواطئ المحيطة بصيدا و بيروت. لقد أصبحت المنطقة دولة عسكرية عدائية منفصلة عن باقي البلد.** (Jaber, Hezbollah: Born with a Vengeance, 30. )

وقد لخص تيمور غوكسيل، وهو أكاديمي لبناني ومستشار سياسي رفيع لليونيفيل، الموقف وأخطاء حزب الله في ذلك الحين،

**حتى العام 1988، كان حزب الله مسكوناً بالرهاب من الغرباء، فظاً جداً تجاه الأجانب، شكاكاً جداً ومتحفظاً، ويستحيل التكلم والتواصل معه. كان حزب الله أصولياً بشكل متطرف لا واقعي. وعندما حاول حزب الله السيطرة على حياة الناس فقد دعمهم. لقد إستخف بالشيئ الوحيد الذي يشتهر به اللبنانيون، وتحديداً الجنوبيون، الأهمية العالية المستوى التي يصنفون بها شخصيتهم وكيانهم المميز المنفرد.** ( Jaber, Hezbollah: Born with a Vengeance, 30.)

إنه إحصاء معبِّر ذلك الذي يقول بأن 38% من المرافق الطبية التي تم إنشاؤها من العام 1983 – 1987، لتضم مستشفيات، عيادات وصيدليات، قد بُنيت في العام 1986. فهذه هي نفس السنة التي يبدو فيها أن تحليلاً داخلياً لحزب الله قد حدد بأن الحزب قد أخفق في تحقيق غاياته برسالته الإسلامية الأصولية بسبب طموحه الزائد وبأن القاعدة الداعمة له قد بدأت تتضاءل. كان هناك أيضاً منافسة منبعثة من حزب أمل العلماني.

## ه. تحركات حزب الله نحو الإعتدال: " الإنفتاح"

حدث حدثان هامان وبارزان في العام 1985: إنسحاب الجيش الإسرائيلي من أطراف بيروت الى جنوب نهر الليطاني ( في جنوب لبنان)، وإعلان حزب الله نفسه منظمة مقاومة وحركة أصولية إسلامية. فعل حزب الله ذلك بـ " رسالة مفتوحة" لصحيفة الدايلي ستار البيروتية. لقد أشار " إنسحاب" جيش الدفاع الإسرائيلي الى مشروعية أوراق إعتماد حزب الله كمقاومة مرعبة وجبارة تمكنت، وبنجاح، من فرض الضغط على جيش الدفاع الإسرائيلي الذي " لم يُقهر" من قبل. **" إن فرادة هدف حزب الله بما يتعلق بمواصلته الأهداف الإسلامية كانت صلبة جداً."** ( Harik, Hezbollah; the Changing Face of Terorism, 55.)

بعد تأمل حزب الله وتفكره بذاته وتحليله بأنه يفقد الدعم الشعبي، تميز العام 1989 بإعادة بناء المنظمة. فحزب الله كان لديه أزمة ثقة. وهناك 3 أحداث وفرت الخيار السياسي لمعتدلي المنظمة كي يشرعوا بهذه التغيرات. أولاً، لقد تسبب موت آية الله الخميني بأن يصبح مستوى الدعم من الموارد الذي كانت إيران تجهز به حزب الله، واذي هو فوق النقد ولا يُمس، موضع جدل الموازنة داخل طهران. في النهاية، فإن المساعدات المقدمة من تلك الفترة وما بعدها ستتذبذب وتتقلب من عام لعام بناء على التقلبات الإقتصادية لسوق النفط. ثانياً، إن تماسك القيادة المشهور الذي كان صفة بارزة

ومميزة لحزب الله حتى هذه المرحلة إنكسر. فمع زوال ناصحهم ومعلمهم الروحي والسياسي جسدياً من المشهد، ظهرت المعارضة المقموعة علانية على السطح. ثالثاً، إنتهاء الحرب الأهلية اللبنانية كان منظوراً. هذا العامل الأخير دفع على الأرجح عناصر المجموعة للإستنتاج بأن بعض (أو معظم) الأطر الرنانة الثانوية الأصلية سيكون عليها أن تتغير. فالإعتقاد بتفكيك وتهديم البنية السياسية اللبنانية تماماً عندما كانت البلاد تمر بآلام مخاض حرب أهلية فوضوية أمر، لكنه أمر آخر تماماً القيام بتفكيك بنية ( سياسية) مؤسَّسة وراسخة في زمن السلم.

- إعادة االهيكلة

جاءت إعادة هيكلة حزب الله بأشكال متنوعة هي الإبتعاد عن السياسات الراديكالية المتعلقة بالإختطاف والجهاد المسلح ( تدمير) ضد النظام السياسي اللبناني وإلغاء عباءة السرية العامة التي لفت تحركات المنظمة وعملية صنع القرار فيها. أما التعديلات التي سمحت بهذا التحول الإيديولوجي فكانت متألفة من جزئينن وأهمها كان القرار بالمشاركة في الحياة السياسية السائدة – الإنتخابات. وهذا الأمر سيتحقق من خلال إعادة تأطير مفهوم " الجهاد" الكلاسيكي، توسيع تعريفه ليسمح بالمشاركة في الإنتخابات.
ثانياً، ولمساعدة الهدف الأول، سيكون الذراع العسكري لحزب الله إنسيابياً عصرياً، مصغر الحجم ومنفصل تماماً عن الكيانات السياسية والإجتماعية لحزب الله. هذا التخفيض لرابط العلاقة بين الجناحين العسكري والمدني ( أو رسم الخطوط الكبرى لها) داخل حزب الله سيعطي حزب الله المجال السياسي الداخلي الضروري للسماح لمرشحيه بدخول الحياة السياسية السائدة.
إن الإنتقال من منظمة سرية الى واحدة شفافة لم يكن فورياً؛ بالواقع، العملية لا زالت جارية. وفيما يبدو أنه ليس من صفات وميزات حزب الله، فإن التكتيك الجديد الموظف من قبل هذه المجموعة الحاسمة بالكامل بشأن دخولها الى المجال السياسي كان أحد المسائل" المبهمة المثير للجدل" بما يتعلق بقضايا الجدل الساخنة الأساسية: تحديداً، طموحات حزب الله بالنسبة للنظام الحكومي اللبناني والرغبة بإنهاء حالة الحرب مع إسرائيل. فهل حزب الله " الجديد، المعاد هيكلته" لا يزال يطلب، ويحتاج، حدوث " ثورة إسلامية" لبنانية وهل أن " تدمير" إسرائيل ما زال هدفاً إستراتيجياً مستمراً له؟

إنفتح الخيار السياسي مرة أخرى مع نهاية الحرب الأهلية اللبنانية، ما يعني توقيع إتفاق الطائف. فإتفاق الطائف الموقع عام 1989 المعروف أيضاً بـ "وثيقة الإصلاح الوطني"، قدمت خطة لإنهاء الحرب الأهلية من خلال تسوية وطنية، تتحقق بإصلاح النظام الطائفي مع عين على توزيع أكثر تساوياً لحصص تقاسم السلطة. أما البند الأساسي في الإتفاق فكان ما سمي أيضاً بتذويب الميليشيات المختلفة ( تحت المراقبة السورية) بإستثناء واحد : سُمح لحزب الله بالإبقاء على ميليشياه

بسبب إعادة تسمية نفسه من " ميليشيا" الى " حركة مقاومة". ( Magnus Ranstrop ، " حزب الله في لبنان: سياسة أزمة الرهائن الغربيين، 15 ). وقد نشأ الوضع الفريد المنسجم مع الجناح العسكري لحزب الله من موافقة ضمنية بشكل " تسوية مؤقتة" من قبل سوريا (وإيران).

ترسخ الموقع الآمن لحزب الله بما يتعلق بالمحافظة على ميليشياه بظل النجاح الذي حققته مجموعة " مقاومة إسلامية" ( ليست ميليشيا عقائدية)، إذ **"تمتعت بدعم واسع ، رغم أنه ليس إجماعياً، في لبنان، حيث كان يُعتبرالإحتلال الإسرائيلي بمثابة عائق أمام إستعادة البلد لعافيته. " ( Norton, Hezbollah, 90.)**. فمع دورها كمنظمة مقاومة موثوق بها، تمكنت المجموعة من التحول لإنزال مرشحين لها في إنتخابات 1992 البرلمانية. كانت المشاركة في الإنتخابات إختباراً للعقائد " الثورية" لحزب الله. في كل الأحوال، لقد أعطى آية الله الخميني بركته وقفز حزب الى داخل العملية بكلتا قدميه.

بالترادف مع هذا القرار بالمشاركة في الإنتخابات، كان هناك إنتخاب حسن نصر الله للإمانة العامة في العام 1992، وإنشقاق صبحي الطفيلي، القائد الراديكالي السابق، ( الذي سيُطرد لاحقاً من المجموعة). فحزب الله شرع بحملة " تعرفوا علينا " الراعية لبرامج مجتمعية ممتدة كجزء من إستراتيجية " الإنفتاح" الأكبر. أما النتيجة فكانت الفوز بـ 12 مقعداً برلمانياً من اصل 128. كانت إستراتيجة حزب الله السياسية العمل. وبالرغم من تراجعه الشعبي المبدئي في أوائل الثمانينات، فإن حزب الله أطَّر، وبنجاح، شرعيته كقوة مقاومة وكممثل مدني وكيل عن الناس.

**إن التصرف كالجميع يقنع، بالتأكيد، كثير من اللبنانيين اليوم، حيث أن من غير المرجح أن يحاول حزب الله إستبدال حدود النظام الذي عمل بشدة للغاية للإنضمام إليه، في حين يبدو، في نفس الوقت، بأن التفاعل الواسع مع المسيحيين قد خفض، الى حد كبير، الصورة التهديدية التي بدأها حزب الله. هذه النشاطات أقنعت عدداً من اللبنانيين بأن الحالة القتالية الراديكالية لحزب الله هي حالة محتفظ بها (حصرياً) للإسرائيليين وليس لتدمير طريقة حياة اللبنانيين الحرة والمستقلة.** (Ibid., 78)

## و. الإستنتاج

عقب إنتهاء الحرب الأهلية اللبنانية، شكل قرار حزب الله بالمشاركة في الإنتخابات علامة تغيير كاسحة في قوعد التأسيس الأصلية للحزب. قد عدّل حزب الله، وبوضوح، إيديولوجيته الإسلامية الأصولية من العام 1985 وحتى 1992. هذا الإعتدال تهذب وإنصقل مع المشاركة الإنتخابية في عام 1992. فالأحداث التاريخية

التي تلت عام 1992، تحديداً الإنسحاب الإسرائيلي الأحادي من جنوب لبنان عام 2000، حرب 2006 مع إسرائيل، والنزاع الأهلي عام 2008 الذي أعقب صراع حول

شبكة إتصالات حزب الله المستقلة وقضية حكومة الوحدة، كلها أمور تبين المقاربة البراغماتية التي تناولها حزب الله بإتجاه الإندماج في النظام السياسي اللبناني المؤسس.

إن المنتقصين من تأثير إعتدال حزب الله يشيرون الى الأسلوب العسكري الحربي الذي إختاره لمقاومة محاولة 2008 لوضع اليد على شبكة إتصالاته كبرهان على أن لا نية حقيقية لدى حزب الله للعمل ضمن معايير المشاركة السياسية السائدة. فبالجوهر، حزب الله سيشارك بالنظام، لكنه عندما لا يحصل على ما يريد فإنه يلجأ الى القوة. في كل الأحوال، وبقدر ما هو مهم القول بأن مكوناً يمتلك قوة مقاومة أمر محصور بـ" العلامة المميزة" التي هي " حزب الله"، فإن الحقيقة المؤثرة هي أنه في صيف عام 2000، وعقب الإنسحاب الإسرائيلي، " إرتفع جدل جدي داخل حزب الله حول ما إذا كان عليه أن يركز على الحياة والمواضيع السياسية اللبنانية، كالفساد، أم أن عليه المحافظة على مكانة المقاومة في لبنان والشرق الأوسط." وقرر حزب الله، بالنهاية، مسار العمل الأخير ( الى الآن) كما ثبت ذلك في مقاومته االقوية جداً لإسرائيل صيف 2006. في كل الأحوال، إن مجرد الحقيقة بأن موضوع التخلي عن عنصر المقاومة مدروس علانية يعطي مصداقية لنقاش الإعتدال الأوسع المرسومة خطوطه الكبرى وفق " نظرية الحركة الإجتماعية، والملحق الإضافي الذي يقول **"إن صندوق الإقتراع هو نعش الراديكالية."** (Anne Marie Baylouny، الضم الديمقراطي: حل للحالة القتالية في الحركات الإسلامية؟")

**يشير بيان المعلومات الى أنه عندما تعطى الفرصة للمشاركة في الحياة السياسية ويكون الثمن الإعتدال، فإن كل الحركات ستستبدل طبيعتها نفسها وتتجاوب مع هذا المحفز. وتثبت تجربة حزب الله هذه الديناميكية. فالمجموعة لم تعتدل فقط للدخول الى الحياة السياسية الإنتخابية، وإنما أعادت تأطير هدفها المركزي، تاركة هدفها بإقامة دولة إسلامية وراءها.** ( Ann Marie Baylouny, " Emotions, Poverty or (Politics:Misconceptions about Islamic Movement,"

## الإستنتاج

إذا كان الضم يولّد الإعتدال، إذاً ما هو الإستنتاج الذي على المرء أن يستخلصه من أعمال حزب الله منذ دخوله الى الحياة السياسية في العام 1992 ومن الإنسحاب الإسرائيلي الأحادي من لبنان في العام 2000؟ فحتى أشد المراقبين تفاؤلاً لن يكون مخطئاً بإستنتاجه بأن حزب الله لا يعتدل على الإطلاق، وبإنه ، وببساطة، يغير صورته العامة بشكل سطحي. فالمرء يمكنه أن يحاجج قائلاً بأن،

**نموذج حزب الله لعام 2008، هو نموذج منظمة إرهابية براغماتية أخطر بكثير من تلك التي لحزب الله الثوري في الثمانينات. بالواقع، إن الحركة لم تتخل عن أهدافها، إنما غيرت خطوة التطبيق لديها. إنها تعمل، في آن معاً، ضمن النظام السياسي اللبناني**

**وخارجه، واقع يمنحها حرية العمل في كلا الساحتين.** ( Eitan Azani, Hizbollah: The Story of the Party of God, from Revolution to Institutionalization, 246)

إذا كان حزب الله، بحسب ما هو مُدَّعى، موجود للرد ضد عدوان وإحتلال إسرائيلي، عندها ماذا يحدث لو أن مصدر العدوان والإحتلال، لغايات عملانية، لم يعد موجوداً؟ ( حزب الله قد يحاجج قائلاً ؟أنه طالما إسرائيل موجودة كدولة، فإن "مصدر" العدوان سيظل موجوداً دوماً. في كل الأحوال، ولأجل الوصول الى أهداف هذا النقاش، فإن مصدر العدوان محدود بإحتلال التراب اللبناني والإقتحام غير المستفز للمجال الجوي والأرض.) فهل هذا يعني بأن حزب الله سيقرر، ببساطة، التوقف عن الوجود كحركة، أو أقله، إلقاء سلاحه وحل ميليشياه؟ هناك أحداث تاريخية أخيرة بإمكانها إختبار هذه الفرضية: (1) إغتيال رفيق الحريري في شباط 2005، و ما نتج عنه من طرد لوحدات الجيش السوري من الأرض اللبنانية في نيسان 2005،( مع ما هو مفهوم ضمناً بأن سوريا لم يعد بإمكانها بعد الآن ممارسة نفوذ سياسي "مباشر"على النظام السياسي اللبناني كالذي كان إذا لم يكن لديها جيش متموضع على الأرض في لبنان.) (2) " حرب تموز" 2006 بين إسرائيل وحزب الله، (3) السيطرة العسكرية على بيروت في أيار 2008 من قبل حزب الله ( تم حله بواسطة إتفاق الدوحة)، و (4) إستراتيجية الإنتخاب المقبلة في حزيران 2009 لحزب الله.

كان إغتيال رئيس الوزراء رفيق الحريري علامة تغيير كاسحة في الحياة السياسية المحلية اللبنانية. فالحريري، وإئتلاف قوى 14 آذار، الذين ينفذون قضيته السياسية، مثلا تحولاً مثيراً للجدل بعيداً عن السيطرة السورية المباشرة في الحياة السياسية اللبنانية.

" كان الحريري محط إعجاب لقيادته عملية إعمار بيروت بعد الحرب الأهلية للبلاد، ،من العام 1975 وحتى 1990. وقد وجه كثيرون اللوم لسوريا بخصوص جريمة القتل، مستشهدين بوطنية الحريري وشعور الإستقلال اللبناني القوي لديه. وسواء كانت الحكومة السورية أم حزب الله هي الجهة التي رعت مباشرة أو كانت متورطة في الهجوم فإن ذلك ليس موضع النقاش المباشر، أو أنه ليس كذلك حالياً على الأقل. فإذا ما كشف التحقيق الدولي، فعلاً ، عن روابط محددة، فإن ذلك سيكون قنبلة سياسية مذهلة وستبرهن بوضوح عن أن حزب الله لا يعتدل. وإلى أن تُعلن هكذا نتائج، ربما يستحق حزب الله الإفادة من الشك، لا لسبب سوى أن حزب الله اليوم قد تعلم الكثير منذ ولادته عام 1985، ليصبح محنكاً وداهية جداً سياسياً. فالحزب يبدو براغماتياً جداً ليصبح متورطاً في مؤامرة مدمِّرة ( على نحو محتمل) سياسياً كهذه. فأن يتحدى حزب الله جيش الدفاع الإسرائيلي من خلال القيام بهجمات (مقاومة)،عمل يذكرونه بصفته سبب وجودهم، أمر، وأن يكون راعياً لعملية إغتيال سياسية محلية أمر آخر تماماً. هذا سيعني بأن حزب الله يرفض رياءً ونفاقاً التضمين والشمول السياسي السائد الذي كان قد سعى بقوة ونشاط كي يصبح جزءاً منه (ويدعمه).

ما هو ظاهر هو أن حزب الله عميل لسوريا، ومع إنخفاض في النفوذ السوري في لبنان ( ما يعني أن السوريين لم يعودوا مسيطرين على " جانبي" الحدود)، فإن إنخفاضاً

في قاعدة موارد حزب الله على وشك أن يحدث. وهذا الأمر ليس في مصلحة حزب الله، تحديداً ميليشياه، بما أن الحدود اللبنانية – السورية هي مصدر السلاح لحزب الله. ومع وضع جدل الإغتيال جانباً، فإن أنشطة حزب الله متناغمة مع مصالحه السياسية المحلية الخاصة به والمثبتة بإصطفافه مع الكتلة الإنتخابية الموالية لسوريا بالنسبة لإنتخابات حزيران المقبلة ( حصلت الإنتخابات في حزيران 2009) بالإجمال، إن أنشطة حزب الله المحيطة بإغتيال الحريري تبرهن عن إعتدال.

إذا كان مقياس الإعتدال إنخفاضاً بالصراع المسلح المرتكب من قبل حزب الله، عندها فإن النقيض المباشر لـ "نظرية الإعتدال" هي حرب تموز 2006 مع إسرائيل. فمنذ الإنسحاب الأحادي لجيش الدفاع الإسرائيلي والأمين العام لحزب الله حسن نصر الله يلعب بمهارة لعبة سياسة شفير الهاوية مع إسرائيل. في كل الأحوال، لقد تجاوز حدوده مع قيام حزب الله بعملية خطف لجنديين إسرائيليين في 12 تموز 2006، ما وفر ذريعة لحملة عسكرية إسرائيلية كاملة. فقبل تموز 2006، كانت حملة حزب الله المنخفضة المستوى ضد إسرائيل مصاغة بعناية لمضاعفة عائداته السياسية المحلية ( فيما يتعلق بسوريا) ودعم الأهداف الإستراتيجية الإيرانية، في حين فشل الحزب في فهمه لحدود التساهل الإسرائيلي. مع ذلك، فإن التحريض على مواجهة أعظم وأعلى، بالرغم من سوء الحسابات، قد إستخدم من قبل حزب الله بذكاء لكسب الدعم. وبشكل واضح، فإن القتال مع إسرائيل الذي تسبب بأضرار قيمتها ما بين 2,8 و 3,6 مليار دولار للدولة اللبنانية لا يؤشر الى موقف إعتدال من جانب حزب الله. إن إستعداد المجموعة المثبت للقتال ندِّياً ضد جيش الدفاع الإسرائيلي يكسبه مصداقية محلية ودعماً إقليمياً. " لقد ربح حزب الله نصراً سياسياً مدوياً في الداخل، على حساب حرية العمل المقيدة لجهة محاربة الإسرائيليين في الخارج، لين وتساهل بمصادقة حكومية بحيث أن معظم الشيعة اللبنانيين سيكونوا منصفين ما أن تكف المجموعة عن أدائها ( في حين تبقى مسلحة). فطالما ظلت الدولة اللبنانية متحفظة ( ولا حيلة لها تكتيكياً) تجاه الوضع المسلح لحزب الله، فليس هناك من حافز لحزب الله كي يغير سلوك شفير الهاوية الذي يتبعه. فواقع عدم قدرة الجيش اللبناني على نزع سلاح حزب الله إذا أراد لا يفوت حزب الله. فالقدرة على إستخدام القوة عندما يريد هي " بطاقة الآص" السياسية التي يُعتبر حزب الله أكثر من مستعد للعبها. وبهذا الخصوص، حزب الله لم يعتدل.

إن الدليل على إستعداد حزب الله " للعب بطاقة الآص" ( القوة) ضد معارضين محليين بان عن نفسه في 6 أيار 2008، مع القتال الذي حصل بين ميليشيات موالية للحكومة وحزب الله في أسوأ قتال طائفي منذ نهاية الحرب الأهلية في العام 1990. وقد نشأ القتال بسبب مواجهة مباشرة حول تحرك حكومي لإغلاق شبكة إتصالات مشغلة من قبل حزب الله بالإضافة الى نقل رئيس الأمن في مطار بيروت المقرَّب من حزب الله بحسب ما يُزعم. وبالرغم من السبب الأصلي، فإن النتيجة هي أن حزب الله كان قادراً على إستعراض عضلاته و أن " يظهر لرئيس الوزراء فؤاد السنيورة من هو في موقع القيادة حقاً." هذا الحدث برهن أمرين: (1) لم يكن محتفظاً بميليشيا حزب الله، بالكامل وبإنضباطية شديدة، لمحاربة الجيش الإسرائيلي، ما أكد أسوأ الهواجس الموجودة لدى معارضيه السياسيين المحليين، و (2) رغم أن حزب الله قد يكون تجاوز حدوده بتحويله

مقاتليه الى متسيبين في بيروت، فإن حزب الله أظهر، وبسرعة، ضبطاً للنفس بتسليمه، طوعاً، كل منطقة إحتلها من المدينة الى الجيش اللبناني بعدما هدأت الأعمال العدائية. إن إزدواجية العمل هذه: إمكانية الوصول التكتيكية وضبط النفس الإستراتيجي يحددان السبب الذي لأجله يرى المراقبون وجود إصلاح جاد ومخلص وكذلك مصلحة ذاتية خبيثة في أنشطة حزب الله.

أخيراً، إن إستراتيجية الإنتخاب في حزيران 2009 تتابع إزدواجية الهدف هذا: إستعداد لتشكيل إئتلافات ( مع أمل والتيار الوطني الحر المسيحي) للفوز برهان الأكثرية في الحكومة، في الوقت الذي يصرح فيه ( حزب الله) بأنه لا يرغب بتوسيع سيطرته بما يتجاوز الـ 11% من البرلمان( 14 مقعداً)، النسبة التي يسيطر عليها الآن. " هذه إحدى الخطوات فقط التي إتخذها حزب الله لينأى بنفسه وبحلفاءه عن الوصف المرجح لإنتصار المعارضة على انه " سيطرة" على لبنان بأسلوب حماس." هذا النوع من الإستراتيجية الذكية سياسياً تبين بوضوح الفارق الهام في البراغماتية الممارسة بين تنفيذ برنامج حزب الله السياسي في مقابل وضع إيديولوجيته السياسية قيد الممارسة العملانية. إن سياسة " البرنامج" أكثر ليبرالية، وشمولاً وإستعداداً للمساومة بكثير من منبر " إيديولوجي" راديكالي وديني ضيق الأفق. بإختصار، إن حزب الله يقوم بعملية تمييز محسوبة بين النظرية والتطبيق.

يستنتج المؤلف بأن الدليل يُظهر بأن حزب الله لم يعد مجموعة ثورية تميل لتغيير المجتمع اللبناني الى جمهورية إسلامية بسيطة سعيدة خالية من الهموم، ولا هو حزب سياسي جيد التأقلم، معتدل ومندمج. إن حزب الله، حالياً، يحتل الأرض الإنتقالية الوسط. وإلى أن يصبح حزب الله مستعداً للتصدي " لسياسته الإنفتاحية في المجال العام اللبناني بموافقته على المشاركة في عملية سياسية طائفية – مذهبية، في الوقت الذي يكسب فيه صيت الإستقامة، الشفافية، المحاسبة والإندماج في عمله السياسي والإجتماعي – الإقتصادي"، و "ليس" الإتكال على إستخدام الميليشيا عندما تجري التيارات السياسية ضد صالح حزب الله، فإنه لا مجال للحكم الآن.

إن حزب الله يستحق الثقة لجعله أهدافه معتدلة، من تلك الساعية لإنشاء دولة إسلامية الى المشاركة بفعالية في الحياة السياسية اللبنانية السائدة. وبشكل معاكس، يمكن للمرء أن يحاجج بالقول على أن ذلك مجرد أثر الزمن. ففترة الستينات والسبعينات الماضية كانت أوقاتاً مسكرة مبهجة عندما كانت الثورة " موضة " دارجة سياسياً. أما فترة التسعينات وما بعد العام 2000 فزمن مختلف والعالم قد تغير. لقد غيرت العولمة المشهد للإجتماعي – الإقتصادي. فهل يريد قادة حزب الله، حقاً، أن يصبح لبنان إيران أخرى؟ بعد إلقاء نظرة على المستنقع الإقتصادي الذي أصبحته إيران يقوم حزب الله بالإنحراف والتباعد عن فكرة جمهورية إسلامية بصفتها ( إيران) شاهد ودليل على الرياضيات البسيطة وعلى السياسة الإقتصادية البراغماتية أكثر مما هي ممارسة في الإعتدال السياسي.

منذ العام 2000، وسلوك حزب الله يتذبذب بين إشارات الإعتدال الإيجابية: ندم جزئي على حرب 2006، تسليم بيروت طوعاً في 2008، و عمل فريق سياسي مع أخصام سابقين في 2009. لقد كان هناك إشارات سلبية عن أن حزب الله يتصرف كالعام 1985، " الأنا – القديمة الراديكالية": *بدءه* حرب 2006 مع إسرائيل، تحويل ميليشياه الى مناوئين محليين والتراجع بخجل عن تحمل كامل المسؤولية عن النتائج الإنتخابية والحكم في 2009 ( حتى الآن). قسم من هذا الأمر يمكن عزوه الى خدعة حزب الله السياسية الكلاسيكية. في كل الأحوال، إذا كان حزب الله يريد أن يتم أخذه بجدية من قبل كامل الجسم السياسي اللبناني، وأن يبدو في نظرهم كحزب بإمكانه فعلاً إدارة لبنان كالسياسيين المنطقيين العقلانيين، فإن عليه الإبتعاد عن إيديولوجيته *و*ممارساته بالقيام بإقرارات أكبر بخصوص تبني موقف قيادة معتدل.

ربما يكون حزب الله قد تطور قدر الإمكان، بسبب العوامل الخارجية لمتبرعيهم الماليين: إيران وسوريا. فمع ما هو معلوم من طبيعة العلاقات العدائية الإسرائيلية – الإيرانية والإسرائيلية – السورية، فإن حزب الله عالق نوعاً ما، ناشراً سياسة خارجية بالوكالة عن كل من هاتين الدولتين. فليكون هناك أي تغيير في جعل حزب الله يناغم ما بين إيديولوجيته وممارسته، فإن أحجار الدومينو التي ستسقط يجب أن تكون تقارباً سورياً – إسرائيلياً بالإضافة الى حل الدولتين الإسرائيلية – الفلسطينية.

إن إختبار الإعتدال الحقيقي سيكون ما إذا كان حزب الله سيلقي سلاحه.

في لبنان، يتمفصل إفتتاح النظام السياسي وفرص الديمقراطية حول التناغم الطائفي الداخلي. فأمل إنضمت الى حزب الله في إنشاء جبهة شيعية شاركت في الإنتخابات وهي الآن منضمة الى الحكومة. ... في الوقت الذي يتحرك فيه لبنان بإتجاه الديمقراطية، سيكون عليه مواجهة سؤال توزيع السلطة بين مجتمعاته المختلفة والمتنوعة وفقاً لأعدادها. ( Vali Nasr, The Shia Revival: How Conflicts within Islam Will Shape the Future, 249- 250)

فهل أصبحت ميليشيا حزب الله عكازاً إستراتيجياً يستند عليه من دون وعي منه؟ إن عرضه التنظيمي، قاعدة موارده، وقوته العددية تسمح له بالإمساك بالورقة السياسية الرابحة في نظام لبنان الطائفي المترنح. لقد برهن حزب الله عن " إستقامة، شفافية، محاسبة، وإندماج" في شبكة خدماته الإجتماعية، لكن هل يستطيع المحافظة على نفس العرض الأخلاقي عند مواجهته لإغراء إستخدام القوة لشق طريقه في المجال السياسي؟

**يعتقد كثيرون بأن إنتصاراً إنتخابياً لكتلة المعارضة المتضمنة لحزب الله ستجرئ الحزب على الوقوف ضد محاولات حل جناحه العسكري. ويحاجج آخرون بالقول بأن النجاح السياسي قد يخدم كمؤثر إعتدالي كبير على الحزب برفع رهانات المواجهة مع إسرائيل ولجمه بالواجبات الدنيوية بجعل مسارات لبنان تسير على**

**الوقت. فإذا إنتصر حزب الله وحلفاؤه في 7 حزيران، 2009، فإن كلتا النظريتين ستكونان قيد الإختبار.** (Elias, " What if Hezbollah Wins?" )

## أ. الخاتمة: 8 حزيران، 2009 – نتائج ما بعد الإنتخابات

بسبب نتائج إنتخابات 7 حزيران، 2009 اللبنانية وإنتصار إئتلاف 14 آذار الموالي للغرب وهزيمة إئتلاف 8 آذار المتضمن لحزب الله، فإن دور حزب الله في الإدارة المقبلة قد يكون محدوداً، الى حد كبير، بدوره كمخرب تشريعي مع " سلطة الفيتو". هذا لا يعني القول بأن حزب الله فقد ذاته: لقد فاز بالمقاعد البرلمانية الـ 14 التي عزم على الفوز بها – رغم خسارة إئتلافه.

وفي حين أن سلطة الفيتو المحتملة لحزب الله قد تعيق العمل الوظيفي الكفؤ للحكومة، فإن هذا النوع من السلطة السياسية ليس تدميرياً بصلبه للدولة – على عكس سلطته الميليشياوية. يبقى هنالك سؤالان. أولاً، هل ستنضم الأحزاب المنتخبة حديثاً معاً لتشكل حكومة وحدة فاعلة وعاملة؟ ثانياً، - وهو ما يشكل قلب االفرضية بشكل مباشر وصريح- إذا ما أخفقت حكومة الوحدة بتلبية التوقعات السياسية لقيادة حزب الله، فهل سيلقي حزب الله سلاحه و" يعتدل بالكامل" أخيراً، متقبلاً رهاناً "طبيعياً" في حكومة لبنانية أكبر، أم أنه سيتمرد مستخدماً قوة السلاح؟ لقد قبل حزب الله الإنتخابات وهو يشير الى أنه على إستعداد لمناقشة وضع ميليشياه. وتبدو تصريحات أمين عام حزب الله حسن نصر الله في 8 حزيران، 2009، بخصوص نتائج الإنتخاب، بأنها تصب في هذا الإتجاه:

**نحن نقبل هذه النتائج... بروح رياضية وبطريقة ديمقراطية. ونحن نقبل بأن يكون المعسكر الحاكم ( 14 آذار) قد حقق الأكثرية البرلمانية. إن السيادة اللبنانية بحاجة الى تكاتف وتعاون جميع الأفرقاء. إن فرصة بناء دولة قوية لا تزال سانحة؛ إنها مرتبطة بإرادة جميع الأفرقاء السياسيين. نريد من الأكثرية أن تعلن عن منبرها السياسي الحقيقي، أولوياتها وأهدافها، والطريق الذي ستستخدمه للتعامل مع الآخرين. ليس هناك من سبب يدعو للخوف من ميليشيا حزب الله طالما أن الشعب يدعم المقاومة... يجب أن يُعقد حوار وطني حول هذه القضية. " لقد حذروكم" من أن سلاح حزب الله قد يُستعمل ليفرض على الناس خيارات لا يريدونها. خلال هذه الإنتخابات، لم يكن للسلاح أي دور. إن سلاح المقاومة هو لمواجهة إسرائيل والدفاع عن البلد.** (Michael Jansen, " Lebanon s Ruling Parties Defy Polls to Retain Power." )

في كل الأحوال، ومشجعاً على مستقبل قد يتضمنه المقتطف القصير المذكور آنفاً، فإن رأي المؤلف هو أنه بالرغم من أن حزب الله قد أظهر إعتدالاً بارزاً وهاماً من العام

1982 حتى يومنا الحاضر، فإن التاريخ يثبت بأن لبنان كبلد لا يستطيع البقاء مستقرا سياسياً وموجود بشكل مسالم مع وجود فاعل قوي، غير حكومي ضمنه (مثال على ذلك التجربة الفلسطينية). وبالعكس، إذا ما قررت الحكومة اللبنانية – ككل – في مرحلة ما عدم دعم " المقاومة" ( ضد إسرائيل) التي تحدث عنها نصر الله من زاوية خفية، فماذا عندئذ؟ إن الزعيم الحقيقي لـ " إعتدال" حزب الله سيكون التسوية النهائية والترتيب المستقبلي للميليشيا. فطالما أن حزب الله يحتكر إستخدام القوة داخل لبنان، فإن " النجاح في إختبار" الإعتدال والإندماج السياسي الحقيقي سيظل رهن المستقبل.

.RESERCH SERVICES GROUP
www.ipileb.com